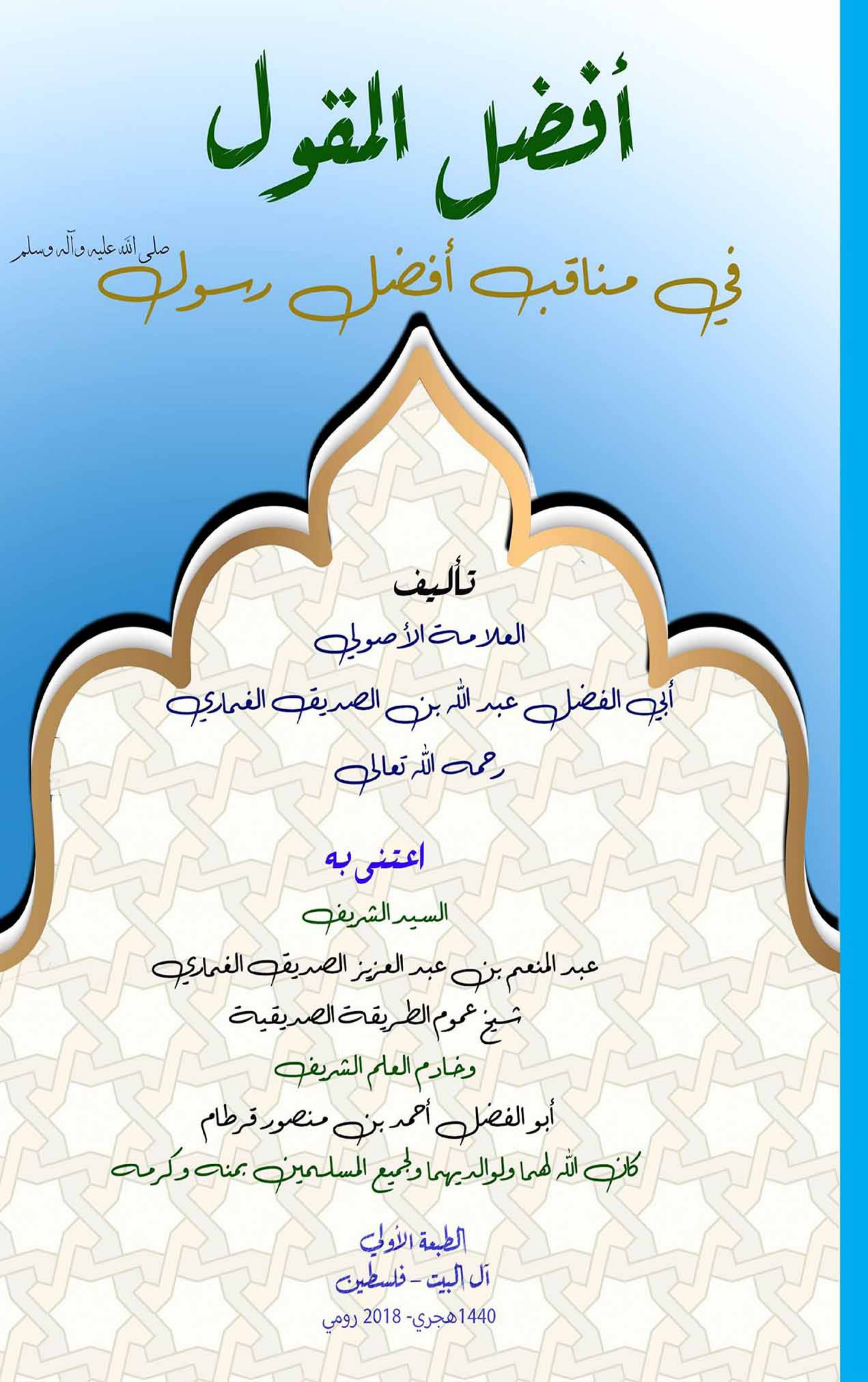

أفضل المقول
في مناقب أفضل رسول صلى الله عليه وآله وسلم
تأليف
العلامة الأصولي
أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري
رحمه الله تعالى
اعتنى به
السيد الشريف
عبد المنعم بن عبد العزيز الصديق الغماري
شيخ عموم الطريقة الصديقية
وخادم العلم الشريف
أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام
كان الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين بمنه وكرمه
الطبعة الأولى
آل البيت - فلسطين
1440هجري- 2018 رومي



إصدار

المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

بالاشتراك مع مركز آل الصديق لإحياء العلوم - فرنسا

اعتنى به

السيد الشريف عبد المنعم بن عبد العزيز الصديق الغماري

شيخ عموم الطريقة الصديقية

وخادم العلم الشريف أبو الفضل أحمد بن منصور قرطام

كان الله لهما ولوالديهما ولجميع المسلمين بمنه وكرمه

1440 هـ - 2018 م

بين يدي القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على النعمة المهداة والرحمة المسداة والسراج المنير، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله النحارير وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد،،،

أخي القارئ الكريم بين أيدينا الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للعلامة الأصولي الحافظ الفقيه المتفنن جامع شتات العلوم الولي الصالح المجاب الدعوة المظلوم سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني عليه وعلى آبائه السلام، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات وكلها نفذت وذلك لأهمية الكتاب ومكانة المؤلف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن غالب الطبعات فيها تحريف كثير من بتر وسقطٍ وأخطاء مطبعية وهي كثيرة وسببها الدار التي أشرفت على طباعته مما أفقد الكتاب كثيراً من قيمته العلمية وهذا غالب حالنا اليوم.

ومن المهم أيضاً أن نعرف أن للكتاب اسماً أخر وهو أفضل مقول في سيرة أفضل رسول وهو عين الكتاب الأول وكان مولانا المنعم عبد الله بن الصديق أشار إلي ضياعه وفقدانه ولكنه موجود ومطبوع في دار القاهرة ولكنها مليئة بالأخطاء أيضاً والسبب في ذلك عدم الاهتمام واللامبالاة من الناشر وكأن كل همه استعمال سمعة هذا العالم الجليل من أجل الكسب المادي فقط.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك أحاديث لم يرض عنها مولانا رحمه ولكنه نبه عليها في كتابه سبيل التوفيق بترجمة عبد الله بن الصديق فقمنا بنقلها من الكتب الأخرى ووضعناها في الهامش لكي لا نكون متطفلين ومدعين وبهذا نكون قد حققنا رغبة مولانا بالإشارة إليها مع نقل نقده لها من كتبه الأخرى، رحمه الله ما أنصفه في حق نفسه وما أحوجنا لهذا النوع من العلماء اليوم.

وقد قمنا بتصحيح الكتاب ما استطعنا لذلك سبيلاً مستعينين بموسوعة الحافظ عبد الله بن الصديق والتي أشرف على طباعتها الناقد المحدث السيد الدكتور محمود سعيد ممدوح حفظه الله وكذلك ما قام بتزويدنا به مشكوراً سليل العترة الطاهرة وشيخ عموم الطريقة الشاذلية الصديقية في العالم اليوم السيد الدكتور عبد المنعم بن سيدي عبد العزيز بن الصديق الغماري حفظه الله وقمنا ببعض الزيادات على بعض الأبيات الشعرية والتي لا توجد في الموسوعة وهي مدونة عندنا وذلك مما قاله سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق مما يتناسب مع هذا المقام وهي مضافة في أول الكتاب، والقصد من كل هذا التنويه للقارئ الكريم أن سيدي ومولاي عبد الله بن الصديق رحمه الله كان كل همه نشر الخير وعدم الاكتراث لما تقوم به غالب دور الطباعة من الكسب، فقد سألته مرة لما لا تأخذ نصيباً من المال أو نصيباً من الكتب من المطبعة، فغضب كثيراً وقال لي بالحرف أليس الخير ينتشر؟ فقلت له بلا يا مولاي فقال هذا يكفيني.

رحمك من عالم عامل بعلومه زاهد متواضع

وجزاك الله عنا وعن الساعين للحق خيراً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

خادم العلم الشريف

أبو الفضل

أحمد بن منصور قرطام

كان الله له ولوالديه ولمشايخه

المقدمة

هـــــذا كتـــــاب قـــــد ســـــعدت بجمعـــــه

في فضـــــل خـــــير الخلـــــق أكـــــرم مرســـــل

نـــــور الوجـــــود شـــــفيعنا يـــــوم اللـــــقى

هـــــادي الخلائـــــق للـــــصراط الأكمـــــل

قـــــد خصـــــه المـــــولى بـــــأقرب خلـــــة

وحبـــــاه بـــــالخلق العظـــــيم الأفضـــــل

لجنابـــــه أهـــــدي كتـــــابي راجيـــــا

أن يقبـــــل المهـــــدى قبـــــول المتفضـــــل

ويضـــــيفني كرمـــــا على أتباعـــــه

أهـــــل الحـــــديث وأهـــــل ذكـــــر المكـــــثر[1]

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، أحمده تعالى وأثني عليه وأشكره، وأستهديه سبحانه، وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا هو المتفرد بالخلق والإيجاد، المنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشركاء والأنداد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفية وخليله، جعله نبياً

1- مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾"الأحزاب 35"،

وآدم منجدل في الطين، وأخذ الميثاق به على جميع النبيين، ثم بعثه مؤيداً بالمعجزات الباهرات، وفضله بأنواع الخصائص والمكرمات، فشرح صدره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وأعظم أجره، وختم به الرسل والأنبياء، وكتب لشريعته الخلود والبقاء إلى يوم الجزاء، صلى الله وسلم وبارك عليه، وزاده شرفاً وكرامةً لديه وأعطاه من صنوف الفضل ما لا يصل أحد إليه ورضي عن آله وأصحابه، وكل من اندرج في زمرة أتباعه وأحبابه.

أما بعـــد:

فهذه أربعون حديثاً منتقاة في فضائل مولانا رسول الله، خدمت بها الجناب النبوي وأتحفت بها المحبين لمقامه العلي، وجعلتها وسيلة أنال بها شفاعته يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، ومن الحميم الوفي تقبلها الله بقبول حسن، وأذهب عنا كل كرب وهم وحزن، بفضله وجوده، إنه ذو الفضل العظيم، وصاحب الجود الواسع العميم، لا يرد من سأله، ولا يخيب من أمله، لا سيما وقد استشفعنا إليه بأكرم خليقته وأفضل بريته، سائلين منه سبحانه أن يحقق رجاءنا، ويقبل دعاءنا ويمحو وزرنا، ويجبر كسرنا، إنه قريب مجيب.

أبـو الفضـــــل

عبد الله الصديق الغماري

1. حديث: متى وجبت النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وآدم بين الروح والجسد) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قوله: متى وجبت لك النبوة، هكذا في هذه الرواية، وهي أيضاً رواية الحاكم وأبي نعيم والبيهقي، وصححها الحاكم أيضاً.

وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد) وهذه رواية أبي عمرو إسماعيل بن نجيد في جزئه.

وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ وهي رواية ميسرة الآتية في الحديث الثاني، ومثلها رواية ابن عباس عند البزار والطبراني وأبي نعيم، ورواية ابن أبي الجدعاء عند ابن سعد وابن قانع، ورواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عند ابن سعد.

وفي رواية الشعبي أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم متى استنبئت؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد، حين أخذ مني الميثاق) رواها ابن سعد أيضاً، لكن الراوي عن الشعبي جابر الجعفي، وعن الصنابحي قال: قال عمر: متى جعلت نبياً؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (وآدم منجدل في الطين) رواه أبو نعيم في الدلائل.

وهذه الروايات متقاربة والمراد بها الإخبار بوجوب نبوته أي: ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح، ورواية متى كتبت؟ معنى الكتابة فيها: الوجوب والثبوت في الخارج أيضاً، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب ظاهر في الخارج، نحو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾"البقرة 183"، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ﴾"المجادلة 21"، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾"البقرة 178".

وحاصل المعنى[1]: أن الله تعالى: أفاض على روح نبيه الشريفة أو حقيقته[2] المحمدية وصف النبوة في وقت كان آدم لا يزال طريحاً على الأرض قبل نفخ الروح فيه، وإفاضة النبوة في هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر.

ولهذا جاء من طريق عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾"الأحزاب 7"، قال: (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) فبدأ به قبلهم، رواه ابن أبي حاتم وغيره، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً بلفظ (كنت أول الناس[3] في الخلق وآخرهم في البعث).

قال المناوي في شرح الجامع الصغير ما نصه: "جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثم لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر، ظهر بكليَّته جسماً وروحا". اهـ.

1- قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في رسالته مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر: هو يفيد أن معنى كونه نبيّاً: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

وقد بيَّن الحديث أيضاً سر إعلان نبوته في ذلك العهد وأنه يرجع إلى أمرين اختص بهما:

أحدهما: أنه سيد ولد آدم.

والآخر: أنه خاتم الأنبياء، وأيَّد ذلك بما ذكره من بشارة إبراهيم وعيسى به عليهم الصلاة والسلام.

والأنبياء جميعاً نبوتهم ثابتة في تقدير الله وقضائه، لكن لم يَرِد في خبر أن الله تعالى أظهر نبوة أحد منهم بالتعيين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلاّ لنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وهذا سر قوله: (كنت نبيّاً وآدم بين الروح والجسد) أي أن حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم يعرفوا آدم إلاّ بعد خلقه. اهـ

2- وهذا ما يقصده أصحاب السير والموالد بقولهم: خلق نوره قبل الأشياء، لأن روحه الشريف كان موجوداً متصفاً بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم كما تبين، والروح جسم نوراني لطيف، كما حققه ابن القيم وغيره وكذا إذا قلنا: أن المراد حقيقته فإنها أمر نوراني تقصر عقولنا عن معرفته، إذ الحقائق تقصر العقول عن معرفتها، كما قاله التقي السبكي في رسالة التعظيم والمنة.

3- المراد بالناس، النبيون، بدليل الرواية السابقة، فهو عام أريد به الخصوص.

وفي حديث الإسراء من رواية أبي هريرة (وجعلني فاتحاً وخاتماً) أي: فاتحاً لخلق الموجودات، وخاتماً لظهور النبوات، ولذا كان من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم (الفاتح الخاتم) وقد أجاد في تقرير هذا المعني وإيضاحه الإمام الحافظ تقي الدين السبكي في رسالة "التعظيم والمنة في لتُؤمِنُنّ به ولَتَنْصُرُنّهُ" وهي مطبوعة في فتاويه، ونقل كلامه الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى، والقسطلاني في المواهب اللدنية وغيرهما.

تنبيـــــه

عَرَضَ زكي مبارك في كتاب التصوف الإسلامي لموضوع الحقيقة المحمدية، وزعم أن الصوفية تغالوا فيها، كتغالي النصارى في الحقيقة العيساوية، وتكلم عن أحاديث (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) فزعم بطلانها، وأيد زعمه بنقل كلام الذهبي في الميزان على بعض رجال هذه الأحاديث، وكل ما أبداه خطأ فاحش، فإن الصوفية لم يتغالوا، بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله، ومن عادة الذهبي أنه يصرح في الميزان ببطلان الحديث الصحيح، بل المتواتر أحياناً[1] وهو يعلم صحته أو تواتره، ولا يقصد بطلانه إطلاقاً، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوي المترجم فقط، وهذه عادة كل من تكلم في الضعفاء، كابن حبان، وابن عدى، والعقيلي، وهذا

1- كحديث (من كذب عليّ متعمداً) فهو حديث متواتر، وقد نص على وضعه في مواضع من الميزان، في تراجم جماعة من الضعفاء والمجروحين، والمقصود: أن الأحاديث الضعيفة والموضوعة يؤخذ حكمها من الكتب الخاصة بها لا من كتب الرجال، وقد حصل في أول طلبي لهذا الشأن أني رأيت الحافظ الدميري ذكر في حياة الحيوان حديثاً في الأشياء التي تورث النسيان، ومنها أكل التفاح الحامض، والمشي بين امرأتين، وبين جملين، وقراءة الكتابة على شواهد القبور... إلخ، ونص على صحته فظننته صحيحاً كما قال، ثم وجدته منصوصاً على وضعه في كتب الموضوعات، فعلمت بعد البحث أن الدميري أراد أنه صحيح عن الراوي الذي حدث به، وأنه هو المتهم بوضعه.

أمر معروف لمن مارس علم الحديث، فاعتماد زكي مبارك على الميزان في إبطال الأحاديث المذكورة، جهل كبير لا يليق إلا بأمثاله.

2. حديث: متى كنت نبياً

عن ميسرة الفَجْر قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ، والطبراني والحاكم وصححه، وقال: الحافظ: سنده قوى.

قلت: ورواه أبو الحسين بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزي في كتاب الوفاء بفضائل المصطفى بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال (لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمدٌ رسولُ الله خاتم النبيين، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه) وإسناد هذه الرواية قوي أيضاً.

قوله: متى كنت نبياً، تقدم شرح معنى كونه نبياً في الحديث قبله بما لا مزيد عليه، غير أن بعض العلماء ذكر أن المراد بهذا الحديث وما في معناه: ثبوت نبوته في علم الله وتقديره، وأن المعنى: كنت نبياً في تقدير الله، وآدم بين الروح والجسد، وكذلك قال في حديث (كنت أول[1] النبيين في الخلق) أن المراد بالخلق التقدير، لا الإيجاد، أي كنت أولهم في التقدير.

1- كما تقدم أن حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم يعرفوا آدم إلاّ بعد خلقه.

هذا حاصل ما ذكره، وهو باطل لوجوه:

الأول: أن نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثابتة في علم الله وتقديره منذ الأزل، فتخصيصها بوقت كون آدم بين الروح والجسد، لغوٌ يجب تنزيه الحديث عنه.

الثاني: أن نبوة الأنبياء عليهم السلام، بل الموجودات كلها ثابتة في علم الله وتقديره، فلم يبقى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا خصوصية على غيره، والحديث إنما أتى لبيان الخصوصية، فلابد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه غيره، وإلا كان الحديث من قبيل العبث، وذلك باطل.

الثالث: أن الصحابة الذين سألوه بقولهم: متى كنت نبياً؟ كانوا يعلمون أن نبوته ثابتة في علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أن الأشياء كلها ثابتة في علم الله وتقديره، فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدراً زائداً على ما كانوا يعلمون.

الرابع: أن عمر رضي الله عنه سأله: متى جعلت نبياً؟ وهذا اللفظ صريح في التصيير أي متى صرت نبياً، وذلك لا يتأتى إلا في موجود، يصح اتصافه بالصفة التي صُيِّر إليها، كما تقول جعلت قطعة الذهب خاتماً، أي صيرتها كذلك، وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنها لم توصف بالخاتمية، إلا بعد الجعل والتصيير.

الخامس: أن وجود الأشياء في علم الله وتقديره، لا يتصور فيه أسبقية بعضها على بعض، فلا يصح أن يقال: كنت أول النبيين في الخلق، لما يلزم عليه مما لا يليق بالله سبحانه وتعالى، وإنما تصح الأولوية في الخلق بمعنى الإيجاد، لأنه صفة فعل، يتصور معه أسبقية بعض الحوادث على بعض، كما دل عليه القرآن والسنة، فتبين من هذا بطلان ما ذكره البعض، وتعين ما ذكرناه، وهو أن الله أفاض على روح نبيه الشريفة أو على حقيقته المحمدية، وصف النبوة، وخلع عليها خلعة القرب، وآدم بين الروح والجسد، تمييزاً له على سائر المخلوقات، واصطفاءً له من بين أنواع الموجودات، فهو

خلاصة النوع الإنساني، وسيد الثقلين، وأبو الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وإلى هذا أشار ابن الفارض على لسان الحضرة المصطفوية:

وأني وإن كنـــــــــــــت ابـــــــــــــن آدم صـــــــــــــورة

فـــــــــــلي فيـــــــــــه معـــــــــــنى شـــــــــــاهد بـــــــــــأبوتي

يقصد بالمعنى الشاهد: النور الذي كان في جبين آدم عليه السلام، ثم انتقل إلى شيث من بعده، وهكذا على ما ثبت في كتب السيرة النبوية، والله أعلم.

قوله: وقال الحافظ سنده قوي، إذا أطلق الحافظ أو شيخ الإسلام، فالمراد به في عرف أهل الحديث: هو الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي كان أعجوبة الدنيا في كثرة الحفظ وسعة الاطلاع، والقدرة على الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وكتبه ناطقة بذلك، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وهو كذلك بحق، وتوفي سنه 852هـ، رحمه الله ورضي عنه وأعلى قدره في عليين.

قوله: ورواه أبو الحسين ابن بشران، اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل البغدادي، أحد شيوخ البيهقي، ويروي عنه كثير في كتبه كالأسماء والصفات والسنن والدلائل وغيرها، وفي مكتبتنا من كتب ابن بشران كتاب الفوائد الحسان يشتمل على أحاديث وآثار مسندة.

قوله (لما خلق الله الأرض) الحديث اشتملت هذه الرواية على مسائل:

الأولى: أن الله تعالى: كتب اسم نبيه على ساق العرش وأبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها إعلاماً لآدم والملائكة بمنزلته عنده، وفي ذلك من التنويه والرفعة ما لا يخفى.

الثانية: **قوله**: وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء قد يؤخذ منه أنها غير جنة الخلد المعهودة، بل هي جنة خلقت لسكنى آدم وحواء، وفي ذلك خلاف طويل، ليس هذا موضع تفصيله.

الثالثة: قوله: فأخبره أنه سيد ولدك، فيه دليل على أنه سيد ولد آدم، والمراد به النوع الإنساني، فيشمل آدم أيضاً، والأحاديث بثبوت سيادته صلى الله عليه وآله وسلم متواترة سردها بأسانيدها شقيقنا الحافظ المجتهد أبو الفيض السيد أحمد في كتاب تشنيف الآذان وهو مطبوع.

الرابعة: قوله: تابا واستشفعا باسمي إليه، فيه دليل على جواز التوسل به من وجهين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكاه وأقره.

الثاني: أن الدعاء لا يختلف باختلاف الشرائع والأديان، فإذا جاز نوع منه في عهد آدم مثلاً دلَّ على جوازه في سائر العهود.

وهذا الحديث يقوي حديث توسل آدم الذي صححه الحاكم، وقال الذهبي أنه موضوع، والصحيح أنه ضعيف فقط، كما صرح به البيهقي في دلائل النبوة وهذا الكتاب قال عنه الذهبي نفسه: "عليك به فكله هدي ونور"، وقد بسطت الكلام عليه في كتاب الرد المحكم المتين.

قوله: وإسناد هذه الرواية قوي أيضاً: لأنه عين إسناد الرواية الأولى التي صححها الحاكم وقواها الحافظ، غير أن هذه الرواية مطولة، وتلك مختصرة، وهذا أمر معهود بين رواة الحديث، فإن الراوي تارة يكون عنده نشاط، فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يقتصر منه على ما يرى أن الحاجة داعية إليه، وتارة يسند، وأخرى يُرسل، ومن هنا كان جمع طرق الحديث والوقوف على ألفاظه المتعددة[1] شرطاً في فهمه حق الفهم، وهذه الطريقة سلكها الحافظ في فتح

---

1 ولقد قال الإمام أبو زرعة الرازي: إذا لم نروِ الحديث من عشرة طرق لم نفهم معناه.

الباري فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاها، واستعان بها على حل مشكلات من الأحاديث استعصت على غيره ممن سبقه، والله الموفق.

تنبيـــــه

قوله: وخلق العرش، هذه الجملة حالية، والمعنى: والحال أن الله خلق العرش، ويصح أن تكون معطوفة، والعطف بالواو لا يقتضي الترتيب، فيجوز أن يعطف بها متقدم على متأخر كما هنا، لأن العرش مخلوق قبل السموات والأرض، بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ على الْمَاءِ﴾"هود 7"، وبدليل الحديث الآتي بعد صفحة، وعلى هذا فكتابة اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ساق العرش، كانت قبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الجنة التي سكنها آدم عليه السلام، بمدة لا يعلمها إلا الله تعالى وقوله في آخر الحديث: وآدم بين الروح والجسد، يرجع إلى كتابة اسمه على أبواب الجنة وأوراقها وقبابها وخيامها، وكتابة اسمه صلى الله عليه وآله وسلم على ساق العرش، وهو أعظم الأجرام على الإطلاق تناسب كونه صلى الله عليه وآله وسلم أعظم المخلوقات كذلك.

3. حديث: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح

عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء) رواه الحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني في مسنده قال: حدثنا جعفر بن محمد قال: أشهد على أبي يحدثني عن أبيه عن جده عن علي به، وهذا مسلسل بأهل البيت النبوي الشريف[1] ورواه أيضاً الطبراني في المعجم الأوسط وأبو نعيم في دلائل النبوة، وابن عساكر في التاريخ، وورد نحوه من حديث ابن عباس وعائشة وغيرهما.

قوله: (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح) أخرج بفتح الهمزة وضم الراء مبنياً للفاعل، وهكذا تلقيته عن شقيقي الحافظ أبي الفيض أثناء حضورنا عليه بزاويتنا الصديقية بطنجة، عمرها الله بذكره، وهو المتجه من جهة المعنى أيضاً، فاحتمال بنائه للمجهول كما فهم بعض الناس غلط، والسِّفاح بكسر السين الزنا، وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نسبه صلى الله عليه وآله وسلم، وفي معناه أحاديث كثيرة عن ابن عباس بألفاظ وطرق عند ابن سعد والطبراني وأبي نعيم وابن عساكر، وعن عائشة عند ابن سعد وابن عساكر، وعن أبي هريرة عند ابن عساكر، وعن أنس عند ابن مردويه

1- روى الخطيب في التاريخ عن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: كنت واقفاً على رأس أبي وعنده أحمد بن حنبل، واسحق بن رهويه، وأبو الصلت الهروي، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسى الرضا، وكان والله رضاً كما سُمّي عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الإيمان قول وعمل) فقال بعضهم ما هذا الإسناد؟ فقال له أبي: هذا سعوط المجانين، إذا سعط به المجنون برئ.

وعن غيرهم، على أن طهارة نسبه الشريف لا تحتاج إلى بيان، ولا يعوزها برهان، إذ لم يتنازع فيها اثنان، فهو صلى الله عليه وآله وسلم الطاهر المطهر أُمَّاً وأباً، الطيب المطيب أصلاً ونسباً، ومن شك في هذا فليس مسلماً، وبالله التوفيق.

4. حديث: اصطفاء الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

قوله: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، الاصطفاء معناه: الاجتباء والاختيار قال الله تعالى: ﴿إِنّ اللّه اصْطَفَي آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ على الْعَالَمِينَ﴾"آل عمران 23"، ومن الاصطفاء نبوة ورسالة، ومنه تمييز وتفضيل وكنانة (بكسر الكاف وتخفيف النون) أحد أجداده صلى الله عليه وآله وسلم.

نسبه الشريف: سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وباقي الحديث واضح، وفيه دلالة على طهارة نسبه، وشرف أصله، وكونه خياراً من خيار صلى الله عليه وآله وسلم.

واستدل الشافعية بهذا الحديث على أن غير قريش من العرب ليس كفؤاً لهم، ولا غير بني هاشم كفؤاً لهم إلا بني عبد المطلب، فإنهم وبني هاشم شيء واحد، كما في حديث آخر.

قوله: حديث حسن صحيح غريب، استشكل العلماء قول الترمذي في الحديث حسن صحيح مع تنافيهما، لأن شرط الصحة أعلى من شرط الحسن كما هو معروف وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة أحسنها جواب الحافظ ابن حجر وهو: أن الحديث إن كان له إسنادان فالجمع بينهما باعتبار الإسنادين أي حسن بإسناد وصحيح بآخر، وإن كان له إسناد واحد، فالجمع للتردد في الإسناد، هل بلغ الصحة أولا؟ أي: حسن أو صحيح، غاية ما في الأمر: أنه حذف الواو من الأول، أو من الثاني اختصاراً، أما الغرابة فلا تنافي الحسن ولا الصحة، بل تلاقيها كما هو معروف، وهذا حديث (إنما الأعمال بالنيات) صحيح غريب، وكم له من نظير والله أعلم.

فائدة: العرب على ست طبقات: شعب، وقبيلة، وعمارة، وبطن، وفخذ وفصيلة.

فالشعب: يجمع القبائل، والقبيلة: تجمع العمائر، والعمارة: تجمع البطون، والبطن: يجمع الأفخاذ، والفخذ: تجمع الفصائل.

فمضر شعب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنانة قبيلته، وقريش عمارته، وقصي بطنه، وهاشم فخذه، وبنو العباس فصيلته.

وقيل بنو عبد المطلب، وعبد مناف بطنه، أفاده الحافظ اليعمري في سيرته.

5. حديث: (إني عبد الله وخاتم النبيين)

عن العرباض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات الأنبياء يرين) وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها) رواه أحمد والبزار والطبراني والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم، وأقر تصحيحها الحافظ.

قوله: (إني عبد الله وخاتم النبيين)... إلخ، هذا يؤيد ما قدمناه من تقدم خلق حقيقته أو روحه، واتصافها بالنبوة وآدم منجدل في الطين.

وفي رواية (إني عند الله لخاتم النبيين)... إلخ، ومعنى العندية هنا القرب المعنوي من بساط الحضرة الإلهية، أي: إني في بساط القرب مفاض عليَّ وصف خاتم النبيين وآدم لا يزال منجدلاً في الطين، أي: لا يزال جسماً مصوراً من الطين لم تنفخ فيه الروح، وفي هذا من عظم قدر نبينا وعلو منزلته ما لا يحتاج إلى بيان.

فائدة: جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، فهذا وجود كتابي بمعنى أن الله كتب اسمه الشريف ونعته المنيف حين كتب مقادير الأشياء في أم الكتاب.

وثم وجود سابق على هذا الوجود وهو الوجود العلمي، أي: أنه كان معلوماً لله تعالى: منذ القدم، لضرورة إحاطة العلم القديم بجميع معلومات موجودات ومعدومات.

وهذان الوجودان أعني العلمي والكتابي مجازيان، وغير خاصين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما المختص به وجود حقيقته أو روحه وجوداً خارجياً، وإفاضة وصف النبوة عليها، كما سبق والله أعلم.

قوله: وسأخبركم عن ذلك، أي: سأخبركم عن تصديق ذلك، فالكلام على حذف مضاف كما تبين.

قوله: دعوة أبي إبراهيم، يشير إلى قوله تعالى: حكاية عنه ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾"البقرة 129"

قوله: وبشارة عيسى، يشير إلى قوله تعالى: على لسانه ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾"الصف 6"

قوله: ورؤيا أمي هذه رؤية عين، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، أي: يرين ما يدل على نبوة أولادهن.

قوله: وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام حتى رأتها أي: معاينة، ولا بن سعد من طريق ثور بن يزيد عن أبي العجفاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (رأت أمي حين وضعتني سطع منها نوراً أضاءت له قصور بصرى) وبصرى موضع بالشام.

ولأبي نعيم من طريق عطاء بن يسار، عن أم سلمة عن آمنة قالت: (لقد رأيت ليلة وضعته، نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها)

وروى الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وابن السكن وغيرهم عن عثمان بن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو، حتى إني أقول لتقعن عليّ، فلما وضعته آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار، حتى جعلت لا أرى إلا نوراً.

ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم خرج من السبيل المعتاد للولادة، طاهراً نظيفاً ما به قذارة، كما ورد عن شاهدوه، فادعاء بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها[1] لا أصل له، ولا دليل يؤيده، والله أعلم.

وفي دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام، ورؤية والدته وغيرها للنور، دلالة صدق، وشهادة حق على تقدم نبوته، وسبق فضيلته كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

6. حديث: من لقيني وهو جاحد بأحمد دخل النار[2]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أوحى الله إلى موسى نبي بني إسرائيل أنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، قال: يا رب ومن أحمد؟ قال عز وجل: ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه، كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل أن أخلق السماوات والأرض، وإن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته، قال موسى: ومن أمته؟ قال عز وجل:

1- وكذلك النصارى يعتقدون أن عيسى السلام عليه خرج من جنب أمه، أو من موضع فوق سرتها، وذلك باطل، لا أصل له، بل هو مولود من المكان المعتاد لولادة البشر.

2- التعقيب على هذا الحديث يأتي في نهايته.

الحامدون يحمدون صعوداً وهبوطاً وعلى كل حال يشدون أوساطهم ويطهرون أطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله، قال: اجعلني نبي تلك الأمة! قال عز وجل: نبيّها منها، قال: اجعلني من أمّة ذلك النبي! قال استقدمت واستأخرت ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال) رواه أبو نعيم في الحلية.

قوله: من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار، أي: من لقيني من بني إسرائيل، قوم موسى وهو كافر بأحمد، أدخلته النار، وذلك لأن الله أخبرهم في التوراة، وبشرهم به موسى عليه السلام، فمن جحد به بعد ذلك كان مكذباً الله ورسوله، وهو كفر، يوجب الخلود في النار.

قوله: (ما خلقت خلقا أكرم علي منه)[1] أكرم أفعل تفضيل من الكرامة، أي: ما خلقت خلقاً له من الكرامة عندي مثله، وفي هذا دليل تفضيله على الملائكة، وهو إجماع إلا ما كان من ابن حزم فإنه فضل الملائكة عليه، وإلا ما كان من الزمخشري فإنه فضل جبريل عليه، وهذان قولان في غاية الشذوذ، لا يعتبر بهما، يقابلهما في الشذوذ قول: من فضل عوام المؤمنين على عوام الملائكة، وليس في الملائكة عوام بل كلهم رسل معصومون، قال الله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾"فاطر 1" وقال جل شأنه: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾"التحريم 6".

1- وأخرج بن عساكر في التاريخ عن عبد الرحمن بن غنيم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (سلم علي ملك ثم قال لي: لم أزل أستأذن ربي عز وجل في لقائك حتى كان هذا أوان أذن لي وإني أخبرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك) وقد شرحت هذا الحديث في كتاب (الغرائب والوحدان).

قوله: (كتبت اسمه مع اسمي في العرش)... إلخ، أي كتبت [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وهذا وارد في حديث توسل آدم وغيره.

قوله عز وجل: (إن الجنة محرمة على جميع خلقي)... إلخ، هذا من الخصائص التي أختصه الله بها فهو أول من يقرع باب الجنة ويدخلها، وأمته أول الأمم دخولاً الجنة، وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكراماً لنبيها صلى الله عليه وآله وسلم وللطبراني في الأوسط بإسناد حسن عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي) وروي أيضاً من حديث ابن عباس نحوه.

قوله: (الحامدون) صيغة مبالغة أي كثيرو الحمد، ثم فسر كثرة حمدهم بقوله: يحمدون ـ بفتح الياء والميم ـ صعوداً إذا صعدوا جبلاً وهبوطا إذا هبطوا وادياً، ويحمدون على كل حال من شدة ورخاء، وبؤس ونعماء، وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضيين، ولا يزال موجوداً إلى الآن، وإن كان قليلاً.

قوله: (يشدون أوساطهم) أي: يتأزرون على أوساطهم، ويطهرون أطرافهم أي: يتوضؤون ومقتضى هذا أن الوضوء من خصوصيات الأمة المحمدية، وفي ذلك خلاف، صائمون بالنهار رهبان بالليل، أي: يقومون الليل ويحيونه بالصلاة والعبادة.

قوله: (أقبل منهم اليسير من العمل) أي: تيسيراً عليهم، ولا أكلفهم بالتكاليف الشاقة، كما قال تعالى: في حق رسوله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾"الأعراف 157"

قوله: (وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله) أي: وأن (محمد رسول الله) لأنها قرينتها.

لما علم موسى عليه الصلاة السلام ببعض خصوصيات هذه الأمة، طلب أن يكون نبياً لها، فأخبره الله تعالى: أن نبيها منها، أي: عربي من ولد إسماعيل، وموسى إسرائيلي، فطلب أن يكون من أمته فأخبره أن وقت ظهوره متأخر عنه، ولكن وعده أن يجمع بينهما في دار الجلال، وهي الجنة[1].

وفي معنى هذا الحديث[2] ما رواه الزبير بن بكار والطبراني من حديث ابن مسعود ولفظه (صفته أحمد المتوكل، مولده مكة ومهاجره إلى طيبة، ليس بفظ ولا غليظ، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، أمته الحامدون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضئون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار).

والأحاديث في هذا المعني كثيرة، كلها متضافرة على التنويه بقدر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وببيان فضله، وفضيلة أمته بالتبعية له، وقد أشار الله

1- وسميت في أحاديث أخرى حظيرة القدس أيضاً.

2- قال سيدي عبد الله بن الصديق الغماري في كتاب سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق: وكتبت جزء "الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله" اخترت ثلاثة وأربعين حديثاً في فضائله صلى الله عليه وآله وسلم وشرحتها، لكن وقع لي فيه خطأ كبير ما كنت أحب أن يقع، نقلت حديثاً من الخصائص الكبرى ولم أبحث في رتبته ثقة بالسيوطي الذي زعم أنه صان ذلك الكتاب عن الأخبار الموضوعة، ثم وجدته في الموضوعات منصوصاً على وضعه من السيوطي نفسه، فغضبت غضباً شديداً، وكرهت من السيوطي هذا التساهل القبيح الذي يوقع من يقلده في أسوأ الأثر، وأظنه يأثم على ذلك لا محالة، والحديث المذكور هو الحديث السادس من الأحاديث المنتقاة فليضرب عليه من كان عنده ذلك الكتاب.اهـ وهو هذا الحديث.

تعالى إلى بعض ذلك في سورة الفتح بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾"الفتح 29" والله أعلم.

7. حديث: أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال لي جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ولم أجد بني أب أفضل من بني هاشم) رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما، وقال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.

قوله: (قال لي جبريل: قلبت مشارق الأرض)... إلخ، هذا العموم لا يشمل جبريل عليه السلام وإن كان الصحيح عند الجمهور أن المخاطب-بكسر الطاء- يدخل في عموم خطابه، لقوله: فلم أجد رجلاً، والملك لا يسمى رجلاً، كما لا يسمى أنثى، وأيضاً فإنه قال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، ولم يتعرض لسكان السماوات الذين جبريل منهم، والحاصل: أن هذا الحديث يدل على أفضلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أهل الأرض، أما سكان السماوات فلأفضليته عليهم **أدلة أخرى**: منها الحديث رقم(11)[1] ولابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر، حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة).

1- والحديث المار قبل هذا تحت رقم (6) وحديث ابن عساكر الذي ذكرت تعليقات عليه.

قوله: لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن، أي: لوامع الصحة ظاهرة... إلخ، وهذه اللوائح اللوامع هي: موافقة الحديث للمنقول، ومطابقته للأصول، وانعقاد الإجماع على مضمونه، والله أعلم.

8. حديث: أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي: الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر: الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي) رواه البخاري ومسلم.

قوله: (إن لي أسماء) أي: كثيرة، نقل ابن العربي في شرح الترمذي والأحكام عن بعض الصوفية: إن لله تعالى ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف اسم، قال الحافظ السيوطي: ألفت كتاباً في شرح أسمائه الكريمة، أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسماً مأخوذة من القرآن والأحاديث والكتب القديمة. اهـ

وسردها القسطلاني في المواهب اللدنية فزادت عن أربعمائة، تتبعها من كلام عياض في الشفاء وابن العربي في الأحكام والقبس وابن سيد الناس في سيرته، والسخاوي في القول البديع.

قال القاضي عياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسماً. ا هـ، وأسماؤه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسمائه خمسة:

الأول: محمد ومعناه: المحمود حمداً متكرراً.

الثاني: أحمد ومعناه: أحمد الحامدين لربه، أي: أكثرهم حمداً، قال القاضي عياض: كان صلى الله عليه وآله وسلم أحمد قبل أن يكون محمداً، كما وقع في الوجود، لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس. اهـ، وذلك لأنه خلق قبلهم كما سبق، ونحو هذا للسهيلي أيضاً في الروض الأنف وسلمه الحافظ في الفتح، فاعتراض ابن القيم عليه وليس بجديد.

الثالث: الماحي ومعناه: الذي يمحي الله به الكفر من الجزيرة العربية، ومن سائر البلاد التي وصلت إليها دعوته وصاروا كلهم أو أغلبهم مسلمين.

الرابع: الحاشر وهو مفسر في الحديث، وقوله: قدمي ضبط بتخفيف الياء وكسر الميم على الإفراد، وضبط بفتح الميم وتشديد الياء على التثنية، ومآل اللفظيين واحد، أي: يحشر الناس على أثر زماني، لأني آخر الأنبياء ليس بعدي نبي.

الخامس: العاقب وهو مفسر في الحديث، ومعناه: الذي جاء في عقب الأنبياء وكان أخرهم، فلا نبوة بعده.

ومن أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن: عبد الله، النبي الرسول، رسول الله، البشير، النذير، السراج المنير، الداعي إلى الله بإذنه، الشاهد، الشهيد، النور، الرؤوف، الرحيم، المدثر، المزمل، خاتم النبيين، إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء، ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ونبالة قدره، ومن أسماء الله التي سمي بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم رؤوف، رحيم، نور، شهيد، كريم، مبين.

تنبيـــــــه

ذكر الحافظ أبو نعيم وتبعه غير واحد أن الله تعالى: لم يخاطب نبيه في القرآن باسمه المجرد، بل خاطبه بالوصف الدال على الرفعة وعلو القدر، نحو: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا داود وهكذا، وأمرنا ألا نناديه باسمه فقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾"النور 63" قال ابن عباس وغيره: لا تقولوا يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، انتهى باختصار.

والوهابية وأشكالهم من الملحدين، يعرضون عن هدي القرآن، ويخالفون أمر الله، ويأبون إلا أن يذكروه باسمه المجرد كآحاد الناس، والعجب أن الواحد منهم يسود نفسه، ويخلع عليها الأوصاف الجميلة، مع أن الله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾"النجم 32" فإذا جاء ذكر سيد الخلق بخلوا على اسمه بالسيادة التي يصفون بها أنفسهم، قاتلهم الله، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله.

9. حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن)[1] رواه مسلم في صحيحه وغيره، وللترمذي عن علي عليه السلام قال: كنت مع النبي

1- يسمي هذا الخارق إرهاصاً، لوقوعه قبل البعثة، ومعنى الإرهاص: الإعلام، بأن من وقع له الخارق، سيكون نبياً، ويؤخذ من الحديث إلهام الجماد بنبوة النبي قبل وقوعها، وهذا كما تتنبأ بعض الحيوانات بالزلزال قبل وقوعه.

صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله.

قلت: قصة تسليم الحجر والشجر عليه، واردة من طرق.

قوله: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن) قال النووي: في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى: في الحجارة ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه﴾"البقرة 74" وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾"الإسراء 44" وفي هذه الآية خلاف مشهور، والصحيح أنه يسبح حقيقة ويجعل الله فيه تمييزاً بحسبه كما ذكرنا، ومنه الحجر الذي فر بثوب موسى صلى الله عليه وسلم وكلام الذراع المسمومة ومشي إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأشباه ذلك. اهـ.

وقال ابن العربي في الأحكام في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾"الإسراء 44" ما لفظ المراد منه ليس يستحيل أن يكون للجمادات فضلاً عن البهائم تسبيح بكلام وإن لم نفقهه نحن عنها، إذا ليس من شرط قيام الكلام بالمحل عند أهل السنة هيئة آدمية ولا وجود بلة ولا رطوبة، وإنما تكفي له الجوهرية أو الجسمية خلافاً للفلاسفة وإخوانهم من القدرية الذين يرون الهيئة الآدمية، والبلة والرطوبة شرطاً في الكلام، فإذا ثبت هذا الأصل بأدلته التي تقررت في موضعه، وبأن كل عاقل يعلم أن الكلام في الآدميين عرض يخلقه الله فيهم، وليس يفتقر العرض إلا لوجود جوهر أو جسم يقوم به خاصة، وما زاد على ذلك من الشروط فإنما هي عادة، وللباري تعالى نقض العادة، وخرقها بما شاء من قدرته لمن شاء من مخلوقاته وبريته،

ولهذا حنَّ الجذع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبّح الحصى في كفه وكف أصحابه، وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل أن يبعث، وكانت الصحابة تسمع تسبيح الطعام ببركته صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن لذلك كله هيئة ولا وجدت له رطوبة ولا بلة، وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات حامت بما ابتدعته من المقالات. اهـ

والأحاديث التي أشار إليها هو والنووي صحيحة، والمقصود أن تسليم الحجر والشجر كما في هذا الحديث، وحديث علي الذي بعده معجزة عظيمة، أكرم الله بها نبيه وثبت به فؤاده، وقوى به حجته.

ففي مسند البزار وأبي يعلى ودلائل النبوة للبيهقي وأبي نعيم بإسناد حسن، عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على الحجون كئيباً لما أذاه المشركون، فقال: (اللَّهُمَّ أرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها، فأمر فنادى شجرة من جانب الوادي فأقبلت تخد الأرض - تشق- خداً حتى وقفت بين يديه[1] فسلمت عليه ثم أمرها فرجعت إلى موضعها، فقال: لا أبالي من كذبني بعدها من قومي) وتعددت هذه القصة لمناسبات كثيرة، كما ورد في كثير من الأحاديث، وسنشير إلى بعضها.

وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام، قال العلماء: في هذا تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته صلى الله عليه وآله وسلم.

1- يسمي هذا الخارق آية تثبيت، لأنه ثبت فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوي عزمه، وكان تبشيراً له بانقياد الخلق إليه بعد ذلك، وإجابتهم لدعوته.

قوله: وللترمذي عن علي عليه السلام... إلخ، رواه أيضاً الدارمي والحاكم وصححه، وللبزار وأبي نعيم عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله)[1] وسيأتي مزيد لهذا في الحديث الثالث عشر بحول الله تعالى.

تنبيهـــات

التنبيه الأول: قوله في حديث الترجمة (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي) اختلف في هذا الحجر، فقيل: هو الحجر الأسود ـ وفيه بعد ـ وقيل حجر غيره بزقاق يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه، كذلك رواه الإمام أبو عبد الله ابن رشيد (بضم الراء) في رحلته بإسناده إلى أبي حفص الميانشي، عمن لقيه بمكة من أهلها.

التنبيه الثاني: سئل الحافظ السيوطي عن رجل بيده حجر بلور يقعد على الطرقات ويقول: الأحجار سلمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الحجر من جنسها، فقال له رجل: كذبت، فأي هما المخطئ؟ فأجاب: ثبت من طرق صحيحة أن الأحجار سلمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن البلور بخصوص لم يرد فيه حديث، انتهى باختصار من كتاب الحاوي للفتاوى للسيوطي.

1- وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بحجر ولا شجرة، إلا سجد له، وهذا في ابتداء نبوته، تثبيتاً له أيضاً.

التنبيه الثالث: ذكرت آنفاً أن الأحاديث التي أشار إليها النووي وابن عربي، فيما نقلته من كلامهما صحيحة، وهي كذلك، إلا حديث تسبيح الحصى في كفه وكف أصحابه، فإنه حديث ضعيف، رواه البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل، وهو حديث مشهور على الألسنة، متداول بين الناس، وضعفه ليس بشديد، وهو في مثل هذا الباب مقبول لا سيما مع تأييده بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾"الإسراء 44" وبحديث تسبيح الطعام وبتسليم الحجر والشجر، والله أعلم.

10. حديث: انشقاق القمر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اشهدوا) رواه البخاري ومسلم، ولهذه القصة طرق عن ابن مسعود وأنس وابن عباس عند البخاري ومسلم، وعن ابن عمر عند مسلم في صحيحه، وعن جبير بن مطعم عند أبي نعيم والبيهقي وغيرهما.

قوله: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرقتين، لهذا الحديث ألفاظ في الصحيحين هذا أحدهما.

ثانيهما: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اشهدوا)، زاد الترمذي في روايته: يعني: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾"القمر 1" ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي رواية أبي داود الطيالسي عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، قال: فقالوا انظروا ما

يأتيكم به السّفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فقال: فجاء السفار فأخبروهم بذلك، وفي رواية البيهقي فسألوا السفار، وقد قدموا من كل وجه فقالوا: رأيناه.

وفي الصحيحين عن أنس: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر شِقَّتين، وفي رواية مرتين، رواه الترمذي وزاد فيه: فنزلت ﴿اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقّ الْقَمَرُ﴾"القمر 1" إلى قوله ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾"القمر 2"

يقول: ذاهب[1] ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: إن القمر انشق على زمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللّهُمَّ اشهد) ورواه الترمذي بنحو مختصر، وقال حديث حسن صحيح.

وللبيهقي عنه في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقّ الْقَمَرُ﴾"القمر 1" قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشق فلقتين، فلقة دون الجبل وفلقة فوقه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اشهدوا) وهذا تفسير صحابي للآية، وتقدم تفسيرها بذلك عن أنس أيضاً، ويأتي تفسيرها عن حذيفة، وكل ذلك يؤكد أن انشقاق القمر وقع معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

1- أي ذاهب في الناس، شائع بينهم، قالوا هذه الكلمة لما سألوا المسافرين، فأخبروا أنهم رأوه منشقاً.

أما الذين أولوا الآية على معنى: سينشق القمر عند اقتراب الساعة، فيرده أمران:

الأول: مخالفته لتفسير الصحابة الذين شهدوا التنزيل، وشاهدوا انشاق القمر.

الثاني: إن القمر لا ينشق عند قرب الساعة، بل يجمع مع الشمس ويكوران، لقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾"القيامة 9" ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾"التكوير 1" أي: والقمر معها كما ثبت في الحديث.

وفي سنن الترمذي عن جبير بن مطعم، قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار فلقتين، على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا، ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم، وكذا هو في مسند الإمام أحمد، وفي رواية أبي نعيم والبيهقي عنه: انشق القمر ونحن بمكة[1]، وفي رواية أبي حذيفة الأرحبي عن علي عليه السلام قال: انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه الطحاوي في مشكل الآثار، وورد حديث الانشقاق أيضاً عن حذيفة من طرق أبي عبد الرحمن السلمي، ومسلم بن أبي عمران الأزدي، وللطبراني والحاكم وغيرهما من طرق ابن علية عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر حديثاً طويلاً، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً.

1- جبير بن مطعم، شاهد انشقاق القمر بمكة وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك وأخبر بما شاهده.

قال الحافظ بن عبد البر: قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا، وتأيد بالآية الكريمة. اهـ

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكي في شرحه لمختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما، من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود ثم قال: وله طرق شتى بحيث لا يمتري في تواتره. اهـ

وقال القاضي عياض في الشفاء: قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾"القمر: 1-2" أخبر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه. اهـ

ثم ذكر بعض الطرق، وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد، وقال في الشفاء أيضاً: أما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه، وأخبر عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلا بدليل، وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عري الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه. اهـ

وقال الإمام الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السماوات خارجاً عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس فيما يطمع في الوصول إليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر. اهـ

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: قال القاضي- يعني عياضاً في شرح مسلم أيضاً ـ انشقاق القمر من أمهات معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج في كتاب معاني القرآن وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يفنيه ويكوره في آخر أمره، وأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص به أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة وهم متغطون في ثيابهم فَقَلَّ من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب، والأنوار الطوالع والشهب العظام، وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عند غيرهم كما ذكرنا، وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل، لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتنبه غيرهم لها.

قالوا: وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الأفاق دون بعض، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم. اهـ[1]، وبقية الأجوبة مبسوطة بإيضاح في الشفاء والمواهب وشروحهما.

1- من اللطائف في هذا الباب أن أبا بكر الباقلاني لما أرسله صاحب الدولة إلى ملك الروم بالقسطنطينية (الآستانة) وعلم ملك الروم أن هذا أجل علماء المسلمين، أحضر بعض بطاركته ليناظره، فقال له: تزعمون أن القمر انشق لنبيكم، فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم؟ فقال له:

وقال الحافظ العراقي في ألفية السيرة وانشق مرتين بالإجماع، قال الحافظ ابن حجر: قوله بالإجماع متعلق بانشق لا بمرتين، فإني لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق، قال ولعل قائل مرتين ـ أي: كما في بعض الروايات ـ أراد فرقتين، وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايتين.

تنبيهـــــات

التنبيه الأول: في ضبط ألفاظ الحديث، قوله: شقتين، هو بكسر الشين، وكذلك فلقتين وفرقتين، ومعناها واحد أي: صار قطعتين متباينتين، بحيث رؤي الجبل بينهما، والسفارـ بضم السين وفتح الفاء المشددة، جمع سافر، وهم القوم المسافرون، وبقية ألفاظ الحديث واضحة.

التنبيه الثاني: ما يذكره بعض القصاص واشتهر بين كثير من العوام من أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخرج من كمه، ليس له أصل كما نقله بدر الدين الزركشي عن شيخه الحافظ ابن كثير، ووافقه غير واحد، وسئل الإمام النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أحدهما: انشق فرقتين، دخلت إحداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر، وقال الآخر بل نزل إلى بين يديه فرقتين ولم يدخل كمه؟ فأجاب: الاثنان مخطئان، بل الصواب: أنه انشق وهو في موضعه من السماء، وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل، الأخرى دونه، هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه. اهـ

وهل بينكم وبين المائدة أخوة أو نسب، إذ رأيتموها ولم تراها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم في جواركم؟ فانقطع ولم يُحر جواباً.

قلت: كوكب القمر مساحته مثل مساحة الكرة الأرضية، فمن المحال عقلاً أن يدخل شق منه في كم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو تنزل بين يديه.

التنبيه الثالث: شاهد انشقاق القمر في الليلة التي وقع فيها ملك بهوبال من الهند[1] واسمه بهوج بال ذكره الفرشته[2] في تاريخه، ونقله العلامة المحدث محمد أنور الكشميري في فيض الباري في شرح صحيح البخاري، وجاء في السنة الأولى من مجلة (الإنسان ص 150، 151 من العدد الصادر في 30 شوال سنه 1301 هـ) تحت عنوان (انشقاق القمر) ما لفظه: أخبر بعض السواحين الجائلين في بلاد الصين، أنه يوجد معبد عظيم في إحدى مدائن هذه المملكة مكتوب على بابه أنه قد تم بناؤه في تاريخ كذا، وأنه في ليلة تمام البناء شاهد الجميع انشقاق القمر نصفين، في وسط السماء، وبالتحقيقات التي أجراها في ذلك التاريخ وجد أن تلك الليلة كانت موافقة لليلة التي انشق فيها القمر بإشارته صلى الله عليه وآله وسلم، فمن يوصلنا إلى زيادة إيضاح في هذه الآية الكبرى أعددنا له المكافأة وشكراناً لا ينقطع مدى الدهر. اهـ[3].

التنبيه الرابع: ورد أن الشمس ردت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فروى الطحاوي في (مشكل الآثار) من طريقين[4] عن أسماء بنت عميس

1- وشاهده أيضاً جماعة كثيرة من بلاد مختلفة، كما ذكره الحافظ بن كثير في تاريخه واسمه بهوج بال.

2- الفرشته: لقب المؤلف، واسمه: الحكيم محمد قاسم البيجابورى، وتاريخه في أربعة أجزاء، كتب بالفارسية، وترجم إلى الأوربية، ألفه لإبراهيم عادل شاه، ملك بيجابور، وكان شيعياً، فرغ من تأليفه سنه 1015هـ، كذا في نزهة الخواطر ج5 ص 385.

3- انظر المجلد الأول من مجلة الانسان بدار الكتب تحت رقم 873 دوريات.

4- قال في الطريق الأول: حدثنا أبو أمية ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس، وقال في الطريق الأخر حدثنا علي بن

قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر، حتى غربت الشمس، فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم (أصليت يا علي) فقال: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (اللّهُمَّ إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس) قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض، وذلك في الصهباء بخيبر.

قال الطحاوي: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقل عن الإمام أحمد بن صالح المصري، أنه كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة. اهـ

ووافق الطحاوي على تصحيحه أيضاً القاضي عياض في الشفاء، ورواه الطبراني في الكبير[1] بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ أبو زرعة ابن العراقي

عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ثنا أحمد بن صالح - هو المصري الحافظ المشهور- ثنا ابن أبي فديك حدثني محمد بن موسى عن عون بن محمد عن أم جعفر عن أسماء بنت عميس رضي الله عنه.

1- قال حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي ثنا علي بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس، وعزاه الحافظ في الفتح إلى الحاكم والبيهقي أيضاً، ونص كلامه: وروى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لما نام على ركبة علي ففاتته صلاة العصر، فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت، وهذا أبلغ في المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه. اهـ بلفظه.

وقال الحافظ أبي بشر الدولابي في كتاب الذرية الطاهرة حدثني اسحاق بن يونس ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم بن حيان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال: كان رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر علي، وكان يوحى إليه فلما سرِّي عنه قال لي (يا علي صليت العصر) فقلت: لا، قال: (اللّهُمَّ إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة

رسولك فرد عليه الشمس) فردها عليه، فصلى فغابت الشمس، قال العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي في جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس) اعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوي في كتاب(شرح مشكل الآثار، وعن أسماء بنت عميس من طريقين، وقال: هذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات، ونقله القاضي عياض في الشفاء والحافظ ابن سيد الناس في بشرى اللبيب والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب الزهر الباسم وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدي، وحسنه الحافظ أبو زرعه ابن العراقي، وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة وقال الحافظ أحمد بن صالح وناهيك به لا ينبغي لمن سبيله العلم، التخلف عن حديث أسماء، لأنه من أصل علامات النبوة، وقد أنكر الحافظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في الموضوعات، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في باب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحلت لكم الغنائم من فتح الباري، بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات. اهـ ثم قال: إن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس، وعلي، وابنه الحسين، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنه ثم أوردها، وتكلم على أسانيدها ثم قال: قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ في هذا الحديث، وتبين حال رجاله أنه ليس فيه متهم ولا من أجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، ولم يبق إلا الجواب عما أعل به، وقد أعل بأمور، فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية، وكذا في كتاب الأمم لإيقاظ الهمم للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكوراني، قلت: حسن الحافظ السيوطي حديث أسماء في أواخر الدرر المنتثرة، وعزاه في الخصائص الكبرى لابن شاهين، وابن منده، والطبراني، وقال: بعض أسانيده على شرط الصحيح، وعزا حديث أبي هريرة لابن مردويه، وذكر في الآلي المصنوعة جزء لبعض المتقدمين في طرق هذا الحديث، أورده بتمامه، فليراجع هناك، بل للحافظ السيوطي نفسه جزء (كشف اللبس عن حديث رد الشمس) وذكر الذهبي في ترجمة الحافظ الحسكاني أن له مجلساً ـ يعني مجلس إملاء ـ في تصحيح حديث رد الشمس لعلي، ما يدل على تشيعه وخبرته بالحديث، تذكرة الحفاظ ص 368 ج3 طبعة ثانية بحيدر أباد.

ولا تنسي أن الذهبي شامي، من تلاميذ ابن تيمية وانظر كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق.

في شرح التقريب أما ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، وتبعه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضاً في رده على الروافض لأجل ذكر علي فيه، ولو ذكر أبو بكر أو عمر بدله، كان أول المصححين له بكل قواه[1].

وانحراف ابن تيمية عن علي وأهل البيت معروف، وحتى حكم عليه بالنفاق لأجل ذلك[2].

التنبيه الخامس: في أوسط معاجم الطبراني بإسناد حسن كما قال أبو زرعه[3] ابن الحافظ العراقي عن جابر بن عبدالله: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وقال القاضي عياض في الشفاء

1- وقعت مناظرة في هذا الحديث بين أبي حنيفة ومحمد بن علي بن النعمان، حيث سأله أبو حنيفة كالمنكر عليه، عمن رويت حديث رد الشمس لعلي؟ فأجابه: عمن رويت أنت يا سارية الجبل فأفحمه.

2- ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته من الدرر الكامنة أن العلماء حكموا بنفاق ابن تيمية، لما ثبت عليه من بغض علي، وانحرافه عنه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام (لا يبغضك إلا منافق) قلت: وقد اطلعت على رسالة له صغيرة ذكر فيها أن الأحاديث الواردة في فضل علي لا تثبت له ميزة على مطلق المؤمنين فضلاً عن الصحابة وبين ذلك في بعض الأحاديث التي ذكرها، بكلام ظاهر عليه آثر الحقد والتحامل، وفي كتابه الذي سماه منهاج السنة وهو في الحقيقة منهاج البدعة تحامل كبير على علي وانتقاص لعلي مقامه، خصوصاً أوائل الجزء الثالث منه، فإن فيه مع ذلك مساساً بفاطمة الزهراء عليها صلوات الله، ووصفها بشائبة النفاق، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث، فجعله إمام الناصبية والمبتدعة منذ وقته إلى الآن في كل زمان ومكان، فلا تجد عدوا لآل البيت، ولا خارجاً على الجماعة، إلا وليد أفكاره، وتلميذ كتبه الملأى بالضلال، فدونك المجسمة والمشبهة ومن على شاكلتهم، كلهم يعتمدون عليه، ويرجعون في نصر بدعتهم إليه، ودونك أعداء الزيارة النبوية الذين يزعمون أنها معصية، لا حجة لهم في زعمهم إلا كلامه، ودونك المتجرئين على القول في الدين بالهوى والغرض، لم يكتسبوا جرأتهم إلا منه، وهكذا بقية صنوف البدع، هو الذي فتح أبوابها وسهل أسبابها.

3- وكذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري والحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى.

بعد أن نقل حديث أسماء بنت عميس، وكلام الطحاوي في تصحيحه ما نصه: وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن إسحاق: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجئ ؟ قال (يوم الأربعاء) قال: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولي النهار ولم تجئ، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم، فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس[1]، وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. اهـ.

ومن أراد زيادة على ما أوردناه، فليراجع (الشفاء، والمواهب وشروحهما والخصائص الكبرى للسيوطي وغيرها) والله أعلم.

11. حديث: الإسراء والبراق

عن أنس رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتي بالبراق ليلة الإسراء به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال جبريل عليه السلام: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقاً) رواه أحمد والترمذي والبيهقي وغيرهم، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان.

قوله: (أتي بالبراق) هوـ بضم الباء وتخفيف الراء ـ دابة ـ أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه، كذا جاء مفسراً في صحيح مسلم من حديث أنس أيضاً.

1- لا يعارض هذا الحديث أبي هريرة ـ في صحيح البخاري- (لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون)، وقال الحافظ ابن حجر: الحصر محمول على الماضي للأنبياء قبل نبينا، وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي. اهـ

قلت: لأن حرف (لم) معناه النفي في الماضي، لا في المستقبل.

قوله: (فاستصعب عليه) وفي رواية اشمأز، وفي رواية شمس، ومعنى الروايات واحد، وجزم السهيلي بأن البراق إنما استصعب عليه، لبعد عهد ركوب الأنبياء قبله، ويؤيده ما جاء في سيرة ابن إسحاق من رواية وثيمة في ذكر الإسراء: فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم، ولم تكن ركبت في الفترة.

قوله: (فما ركبك أحد أكرم على الله منه) يدخل في هذا العموم جبريل نفسه، لأنه ممن ركب البراق، فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكرم على الله منه، وعلى هذا انعقد الإجماع، إلا ما كان من مخالفة الزمخشري وابن حزم، وهو خلاف شاذ كما تقدم التنبيه عليه.

قوله: فارفضَّ عرقاً: أي سال منه العرق لحيائه وخجله.

وقصة الإسراء مذكورة في القرآن، وواردة في السنة المطهرة، رواها أكثر من عشرين صحابياً، وكذلك قصة المعراج ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ، لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾"النجم: 13_18" ووردت بها السنة المشرفة، إذ رواها الصحابة الذين رووا حديث الإسراء، كما رواه سائر الصحابة، وقد أفردت هذه القصة بالتآليف الكثيرة فللحافظ عبد الغني بن سعيد كتاب في جزأين جمع فيه أحاديث الإسراء، وللإمام أبي إسحق النعماني كتاب حافل في الإسراء والمعراج مشحون بالفوائد والنفائس، وللإمام العلامة فخر المالكية، بل فخر المتأخرين قاطبة (ابن المنير) كتاب في أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء طبعت بالشام وهي مفيدة.

إلى غير ذلك مما لا يحصى من المؤلفات، هذا غير ما جاء عنها في كتب التفسير والحديث والسيرة مما يطول تتبعه واستقصاؤه، ومع ورود هذه المعجزة العظيمة في القرآن والسنة وإجماع العلماء على وقوعها نجد ملحدة العصر مثل هيكل ينكرونها ويؤولون وقوعها على وجه يوافق عقولهم الضيقة، وأمزجتهم السخيفة، تقليداً للمستشرقين أعداء الدين، أو طلباً للشهرة باسم التجديد وحرية الفكر، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

12. حديث: نبع الماء من أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس أيضاً قال: (إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء، فدعا بقدح فيه ماء، فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه، قال قتادة: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زهاء الثلاثمائة) رواه البخاري ومسلم.

قلت: قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات، ووردت في أحاديث كثيرة.

قوله: كانوا بالزوراء، مكان عند السوق بالمدينة المنورة.

قوله: فدعا بقدح (بفتح القاف والدال) إناء يوضع فيه الماء.

قوله: زهاء الثلاثمائة، زهاء بضم الزاي وبالمد، أي قدر الثلاثمائة.

قال القرطبي: قصة نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم قد تكررت منه في عدة مواطن، في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه

المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه.

وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم. اهـ

وقال النووي في شرح مسلم: وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره، أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء: أن معناه أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه.

والثاني: يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه[1]، لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة، وآية باهرة. اهـ

1 وهذا الماء أشرف المياه، قاله سراج الدين البلقاني، وهو ظاهر، ويقرب من هذه المعجزة ما رواه ابن اسحاق في المغازي عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، عن جده عبد الله رضي الله عنه: أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز ـ وهي سوق بقرب عرفة ـ فأدركني العطش فشكوت إلى ابن أخي ـ يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقلت: يا ابن أخي عطشت، وقلت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيئاً فثنى وركه، ثم نزل عن الدابة، وكان صلى الله عليه وآله وسلم رديفاً لأبي طالب وقال: (يا عم عطشت؟) فقلت: نعم، فأهوى بعقبه إلى الأرض ـ أي ضرب الأرض بقدمه ـ فإذا بالماء، فقال: (أشرب يا عم) فشربت، ورواه ابن سعد وابن عساكر وغيرهما، وهذا حديث عزيز نادر، يرويه أبو طالب، ولا أعلم له حديثاً آخر رواه، إلا ما أخبرني به شقيقي الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى: أنه روى حديثا، قال فيه: حدثني ابن أخي محمد (وصدق) (أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة).

وقصة نبع الماء وقعت في المدينة، وفي قباء، وفي غزوة بواط بضم الباء موضع على أبراد من المدينة، وفي غزوة الحديبية وتبوك، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعود وعمران بن حصين وابن عباس وغيرهم، وأغلب طرقها في الصحيحين أو أحدهما.

تنبيـــــــه

مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ما رواه الإمام مالك في الموطأ ومسلم في الصحيح عن معاذ رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: (إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاء فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي) قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فسألهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هل مسستما من مائها شيئاً) قالا: نعم (فسبهما، وقال لهما: ما شاء الله أن يقول) ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وآله وسلم به وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملىء جناناً - يعني بساتين-) زاد ابن اسحاق في روايته: (فانحرف الماء حتى كان يقول من سمعه إن له حساً كحس الصواعق) وذلك الماء فوارة تبوك اليوم. ولهذه القصة نظائر في الصحيحين وغيرهما[1] والله أعلم.

1- في صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة في غزوة الحديبية: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، فلم يلبث الناس حتى نزحوه، وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العطش، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري، حتى صدروا عنه الثمد بفتحتين - حفرة فيها ماء -.

13. حديث: استجابة العذق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بم أعرف أنك نبي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أرأيت لو دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله؟) قال: نعم، فدعا العذق، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقر حتى انتهى إليه فقام بين يديه، قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ارجع إلى مكانك) فرجع إلى مكانه، فأسلم الأعرابي، رواه أحمد والبخاري في التاريخ والترمذي والحاكم وصححاه وغيرهم.

قلت: قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تعددت ووردت في غير حديث.

قوله: لو دعوت هذا العذق ـ بكسر العين وسكون الذال المعجمة معروف ـ وبقية ألفاظ الحديث واضحة، وفيه معجزة باهرة، وآية ظاهرة، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط مسلم، وسلمه الذهبي.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم

وفيه أيضاً عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ فتمضمض ودعا ومجّ في بئر الحديبية منه، فجاشت بالماء.

وفي مغازي أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن الأسدي المدني، يتيم عروة بن الزبير عن عروة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ في الدلو ومضمض فاه، ثم مج في الدلو، وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر. ودعا الله تعالى، ففارت إلى ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها، وهم جلوس على شفيرها. وهذه الرواية توضيح وتبيين لرواية البراء المختصرة، وقصه البئر هذه، غير قصة الثمد، فهما معجزتان، وقعتا بالحديبية.

يجد شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى إحداها فأخذ بغصن من أغصانها فقال: (انقادي علي بإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش[1] الذي يصافح قائدة ثم صنع بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالمنصف (بفتح الميم الموضع الوسط) بينهما قال التئما (اجتمعتا) علي بإذن الله، فالتأمتا، الحديث.

وروى البزار والبيهقي في الدلائل بإسناد جيد عن ابن عمر قال: كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أين تريد؟) قال: إلى أهلي، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (هل لك إلى خير؟) قال: وما هو قال صلى الله عليه وآله وسلم: (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هذه الشجرة) فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خدّاً فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاث فشهدت، ثم رجعت إلى منبتها.

وروى البزار عن طريق صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبية قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أرني آية؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: (اذهب إلى تلك الشجرة فادعها) فذهب إليها فقال: إن رسول الله يدعوك فمالت عن كل جانب منها حتى قلعت عروقها، ثم أبلت

1- بالخاء والشين المعجمتين، هو الجمل الذي يوضع في أنفه عود من حشاش الأرض لينقاد، وإنما نبهت عليه لأني رأيت القائمين على طبع المجلد الأول من التمهيد بالمغرب، لم يهتدوا لوجه الصواب فيه.

حتى جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرها أن ترجع، فقام الرجل فقبل رأسه ويديه ورجليه وأسلم.

ورواه ابن الأعرابي في جزء القبل من هذا الطريق، وقال في آخره: فقال الرجل عند إذن ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك، فأذن له فقبل رأسه[1] ورجليه، ثم قال: ائذن لي أن اسجد لك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يسجد أحد لأحد) وعزاه الحافظ العراقي في المغني إلى الحاكم وقال: قال: صحيح الإسناد. اهـ

وفي المستدرك عن يعلى بن مرة قال: سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت منه شيئاً عجباً! نزلنا منزلاً فقال: (انطلق إلى هاتين الشجرتين فقل لهما إن رسول الله يأمركما أن تجتمعا) فانطلقت، فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها، فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً، فقضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجته من ورائهما، ثم قال (انطلق لتعود كل واحدة إلى مكانها) فأتيتهما فقلت لهما ذلك، فعادت كل واحدة إلى مكانها.

ثم ذكر معجزتين أخريين شاهد لهما[2].

قال الحاكم: حديث صحيح، وسلمه الذهبي.

1- هذا الحديث يرد على الذين يزعمون حرمة التقبيل على وجه التعظيم وقد أوردته مع أحاديث كثيرة في جزء إعلام النبيل بجواز التقبيل.

2- ذكرت هذا الحديث بتمامه وشرحته في سمير الصالحين ج2، ولله در البوصيري حيث قال:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة   تمشي إليه على ساق بلا قدم

كأنما سطرت لما كتبت   فروعها من بديع الخط في اللقم

وفي الصحيحين عن مسروق قال: سألت ابن مسعود: من آذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال آذنته (أعلمته) بهم شجرة، وبقيت أحاديث أخرى أيضاً، اكتفينا عنها بما أوردناه هنا، وفي شرح الحديث التاسع، وبالله التوفيق.

14. حديث: حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليه فكست، رواه البخاري في صحيحه، وله طرق عن جابر وبريدة وعائشة وابن عمر وأنس وأُبي بن كعب وأبي سعيد الخدري وابن عباس وأم سلمة وسهل بن سعد وغيرهم.

وروى أبو حاتم الرازي الإمام العلم عن شيخه عمر بن سواد، قال: قال لي الشافعي: ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، فقال أعطي محمداً حنين الجذع فهذا أكبر من ذاك.

قوله: كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي يتكئ عليه حال الخطبة وذلك قبل أن يصنع له المنبر، فلما صنع له خطب عليه، فسمع للجذع (بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة) مثل أصوات العشار (بكسر العين) جمع عشراء وهي الناقة التي لحملها عشرة أشهر، أو الحامل مطلقاً.

قوله: فوضع يده عليها فسكت، في رواية للبخاري فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضمها إليه (أي السارية التي هي الجذع) فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها، ولهذا

الحديث طرق في البخاري ومسند أحمد، ولا بأس أن نشير إلى عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد، فحديث بريدة رواه الدارمي من طريق عبد الله بن بريدة عن أبيه، وفيه من الزيادة ما نصه: فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع يده عليه وقال: (اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرتك) فسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له: نعم قد فعلت، مرتين فسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (اختار أن أغرسه في الجنة).

وحديث عائشة رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بنحو حديث بريدة، وحديث ابن عمر رواه البخاري وأحمد، وحديث أنس رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والدارمي وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقي، وفيه (خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد بخواره، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتزمه فسكت فقال: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزناً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) قال الترمذي حديث صحيح غريب، ورواه البغوي عن طريق الحسن عن أنس، وزاد عليه: فكان الحسن - يعني البصري - إذا حدث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شوقاً إليه لمكانه من الله، وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

وحديث أُبي بن كعب رواه الشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجة وأبو يعلى وسعيد بن منصور وأبو نعيم والبيهقي.

وحديث أبي سعيد الخدري، رواه عبد بن حميد وابن أبي شيبة والدارمي وأبو نعيم.

وحديث ابن عباس رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم، ورواه أيضا ابن سعد وابن ماجة والدارمي وأبو نعيم والبيهقي.

وحديث أم سلمة، رواه أبو نعيم والبيهقي.

وحديث سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن المطلب بن أبي وداعة، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسند ظهره إلى جذع في المسجد إذا خطب، فلما جعل له المنبر، وجلس عليه، خار الجذع خوار الثور، فأقبل عليه حتى التزمه فسكن، وقال: لا تلوموه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفارق شيئاً إلا وجد (أي: حزن) عليه.

قال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف. اهـ

وقال القاضي عياض: حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر، أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر. اهـ، ثم ذكر عشرة من الصحابة.

وقال التاج ابن السبكي في رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: والصحيح عندي أن حنين الجذع متواتر، رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر، ورواه أحمد من رواية أبي جناب عن أبيه عن ابن عمر، ورواه ابن ماجة وأبو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمه عن ثابت عن أنس، وإسناده على شرط مسلم، ورواه الترمذي وصححه، وأبو يعلى وابن خزيمة والطبراني من

رواية اسحق بن عبد الله ابن أبي طلحه عن أنس، ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس، ورواه أحمد وابن منيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس، ورواه أحمد والدارمي، وأبو يعلى وابن ماجة وغيرهما من رواية الطفيل ابن كعب عن أبيه، ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ورواه أبو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن تميم الداري قال: ولست أدعي أن التواتر حاصل بما عددت من الطرق، بل من طرق أخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء وغيرها. اهـ ولهذا أدرجه السيوطي في كتابه الذي ألفه في المتواتر، ولكن قال الحافظ في الفتح إنه نقل نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم في ذلك. اهـ

ولا شك أن معجزة خنين[1] الجذع أكبر من إحياء الموتى، كما قال الإمام الشافعي، لأن خنين الجماد وبكاءه كالطفل، أبعد وأغرب من عودة الحياة إلى جسم كان حياً، وستعود إليه الحياة عند بعثه، فالميت ليس بجماد صرف، بل من شأنه الحياة، كما لا تخفى، والله أعلم.

1- خنين الجذع اشتهر بين المحدثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالخاء المعجمة، وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أما الحنين بالحاء المهملة، فهو الشوق، وهو معنى باطني لا صوت له.

15. حديث: مسح رأسه بيده

عن حنظله بن حذيم: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح رأسه بيده وقال له (بورك فيك) قال الذيال: هو حفيد حنظلة وراوي الحديث عنه، فرأيت حنظلة يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله على أثر يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه الإمام أحمد والبخاري في التاريخ والطبراني والبيهقي وغيرهم، وإسناد الحديث لا بأس به.

حنظلة: بفتح الحاء والظاء بينهما نون ساكنة، وحذيم بضم الحاء، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي له ولأبيه ولجده صحبة.

قوله: مسح رأسه بيده.. إلخ، وسبب ذلك: أن أباه حذيم وجده حنيفة وأعمامه أتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خصومة لهم ومعهم حنظلة غلام، فقال أبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن لي بنين ذوي لحى وإن هذا أصغرهم فادع الله له فمسح رأسه بيده، وقال له (بورك فيك) أو (بارك الله فيك) شك من الراوي، فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر في الحديث.

والصلعة: بفتح الصاد ما انحسر عنه الشعر من مقدم الرأس، وضرع الشاة معروف، وهذا غير كثير في جانب بركته صلى الله عليه وآله وسلم، وما ورد من برء ذوي العاهات والأمراض بتفله عليه الصلاة والسلام، أو مسح يده أو دعائه، لشيء كثير جداً لو جمع لجاء في كتاب حافل، ولعل الله يوفقنا إلى جمع

ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله[1]، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناه صحيح.

16. حديث: قصعه من غدوة

عن سمرة بن جندب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة، قلنا: فمما كانت تمد قال: (من أي شيء تعجب؟ ما كانت تمتد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه.

وقصة تكثير الطعام وردت في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما. (سمرة بضم الميم، والقصعة بفتح القاف) ومن اللطائف اللغوية قولهم: لا تكسر القصعة، ولا تفتح الجراب، والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع

1- وفي صحيح مسلم والسنن الأربعة إلا الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها أخرجت جبة طيالسة ذات أعلام خضر، وقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها، فنحن نغسلها فنستشفي بها.

وفي الصحيحين في غزوة خيبر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً ليعطيه الراية فجيء به يقاد لرمد شديد أصابه فتفل في عينيه، فبرأ كأن لم يكن بها وجع.

وفي صحيح البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: أصابتني ضربة في ساقي يوم خيبر فقال الناس: أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات، فما اشتكيتها بعد ذلك قط.

وروى أبو الشيخ في كتاب الأخلاق النبوية عن محمد بن مهاجر قال: كان متاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عمر بن عبد العزيز في بيت ينظر إليه كل يوم قال: وكان ربما اجتمعت إليه قريش، فأدخلهم في ذلك البيت ثم أستقبل ذلك المتاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله به، وأعزكم الله به قال: وكان سريراً مرمولاً بشريط، ومرفقه من أدم محشوة بليف وجفنة وقدح وقطيفة صوف، كأنها جرمقانية ورحى وكنانة، فيها أسهم قال: وكان في القطيفة أثر وسخ رآه فأصيب رجل، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ فيعطبه فذكر ذلك لعمر، فسعط فبرأ. اهـ

الشمس، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وفيه معجزة كبيرة في تكثير الطعام القليل.

ولهذا نظائر كثيرة ففي الصحيحين عن جابر في غزوة الخندق قال: فانكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم خمصاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير، ثم جئت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فساررته فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة - بالتصغير - لنا وطحنت صاعاً من شعير فتعال أنت ونفراً معك فصاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا أهل الخندق إن جابراً صنع سواراً أي: طعاماً يدعوا إليه الناس فحي هلا بكم) فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء) فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: (أدع خابزه فلتخبز معك واقدحي ـ أي: اغرفي ـ من برمتكم ولا تنزلوها) وهم ألف، فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو.

ووقعت قصص من هذا القبيل في غزوة الخندق وتبوك وغيرهما، وهي مخرجة في الصحيحين، وبقية كتب الحديث والسيرة.

17. حديث: شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: (هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَه، ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون

إلى أمه يعني (ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: ولقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، رواه مسلم في صحيحه.

قوله: فصرعه أي: أضجعه على الأرض إضجاعاً لطيفاً، كما في رواية شداد بن أوس.

قوله: علقة بفتحات أي: قطعة دم منعقدة.

قوله: هذا حظ الشيطان منك يعني: أن العلقة أو المضغة السوداء، -كما في رواية أخرى-، هي محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان، فحيث أزيلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك.

قوله: ثم غسله في طست بفتح الطاء، ويجوز ضمها وكسرها، وبالسين المهملة ويجوز إعجاماها.

قوله: ظئره هي المرضع.

قوله: منتقع اللون أي: متغير اللون، مثل النقع وهو الغبار.

وفي حديث شداد بن أوس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كنت مسترضع في بني سعد بن بكر، فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجاً فأخذوني من بين أصحابي وانطلق الصبيان هراباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض اضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهي عانتي وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تنح ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئاً،

فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبي فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعادة مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه: تنح، فمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً، ثم قال للأول: زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف فرجحتهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا: يا حبيب لم ترع أنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك) الحديث، رواه أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر.

وفي حديث أبي ذر عند الدارمي (فما هو إلا أن ولياً عني فكأنما أرى الأمر معاينة).

وفي رواية ابن غنم عند الدارمي أيضاً (أن جبريل عليه السلام قال: قلب وكيع ـ شديد ـ فيه عينان تنظران، وإذنان تسمعان) وللحديث طرق أخرى[1].

والحكمة من شق صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا، وتنشئته على الرجولة التامة، ولهذا نشأ صلى الله عليه وآله وسلم على أكمل الحالات، وأفضل الصفات لم يمل إلى شيء مما يميل إليه الصبيان، ولم يستهوه ما استهوي غيره من الشبان والفتيان، حتى أكرمه الله بنبوته، واصطفاه لرسالته صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم شق صدره الشريف مرة ثانية: عند بعثته صلى الله عليه وآله وسلم ليتلقى الوحي بقلب قوي واستعداد كامل.

1- منها حديث عتبة بن عبد السلمي عند الحاكم، وصححه على شرط مسلم، وسلمه الذهبي.

ثم شق صدره الشريف مرة الثالثة: ليلة الإسراء كما ثبت في البخاري وغيره، ليتهيأ للترقي إلى الملأ الأعلى والثبوت في المقام الأسنى، وليتقوى قلبه لمشاهدة العلي الأعلى، ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التهيؤ والاستعداد لم تتفق له الرؤية[1].

1- قال الحكيم الترمذي: حدثنا محمد بن رزام الأيلي، ثنا محمد بن عطاء الهجيمي، ثنا محمد بن نصير، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿رب أرني أنظر إليك﴾"الأعراف 143" قال "يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تهدده ولا رطب إلا تفرق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم" أما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فالراجح عند أكثر العلماء كما قال النووي: أنه رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه، وروى الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس يقول الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾"الأنعام 103" قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين، وروى النسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم أيضاً عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وللطبراني في الأوسط بإسناد رجاله رجال الصحيح غير واحد، فوثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه كان يقول: إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره، ومرة بفؤاده، وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة عن عبد الرازق عن معتمر بن سليمان عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه، وروى ابن خزيمة أيضاً عن كعب قال: إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فرأه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين، وروى أيضاً عن عروة بن الزبير: إثبات الرؤية أيضاً، وروى ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء بهم، وذكر شيئاً من العقيدة إلى أن قال: وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس، والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ وروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمداً

وفي هذا الحديث لطائف منها: أنه تحقق بشق صدره، وصدع قلبه، إكرامه بالصبر الجميل، كما تحقق لجده إسماعيل الذبيح، مثل ذلك لصبره على مقدمات الذبح فأثنى الله عليه بذلك، ولكن صبر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أشد، واحتماله أقوى للفارق العظيم بين الأمرين كما لا يخفى.

رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأي معنى يدفع قولها؟ قال: بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (رأيت ربي) فقول النبي أكبر من قولها. اهـ

وهذا الحديث رواه ابن عباس، وأشار أحمد إلى طرقه في كلامه آنفاً، وأفرد ابن خزيمة في كتاب التوحيد باباً لرؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه تعالى، وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنها نفت الرؤية، وابن عباس وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدم على النفي، وروي عن عبد الرازق قال: ذكرت لمعمر حديث عائشة، فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، قال ابن خزيمة: ومحال أن يقال ابن عباس أعظم على الله الفرية، ولا أظن أحد من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس أثبت الرؤية بالظن والرأي، ولا أنس بن مالك، ولا أبو ذر، هذا ملخص كلام ابن خزيمة، وأما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾"الأنعام 103" فلا يدل على نفي الرؤية لوجهين:

الأول: أن الإبصار لفظ عام، أي: لا تدركه عموم أبصار الناس، وخص منه بصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآية من قبيل العام المخصوص وهو كثير في القرآن والسنة.

الثاني: أن الإدراك معناه: الإحاطة، فالآية الكريمة تنفي الإحاطة، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية ألا ترى أن المؤمنون يرون ربهم في الجنة، ولا يحيطون به، بل نحن نرى الشمس والقمر، ولا نحيط بهما، فكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى الله من غير أن يحيط به، وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه.

وأما حديث أبي ذر: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك؟ فقال (نور أنَّى أراه) فأجاب عنه ابن خزيمة بأنه يجوز أن يكون سأله قبل حصول الرؤية، ثم حصلت بعد ذلك، قلت: ويتأيد هذا بما ثبت عن أبي ذر نفسه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه بقلبه، وثبت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أيضاً رواه عنهما ابن خزيمة. وانظر ما كتبناه في التعليق رقم (1) على الحديث رقم (11).

ومنها: غسل قلبه بطست من ذهب وفيه كما قال الحافظ مناسبات منها: أنه من أواني الجنة، ومنها: أنه لا تأكله النار ولا التراب، ولا يلحقه الصدأ، ومنها: أنه أثقل الجواهر، فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لأنه من أواني أهل الجنة. ولا تأكله النار ـ ولا التراب، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يلحقه الصدأ، وأنه أثقل من كل قلب عُدِل به، وفيه مناسبة أخرى: وهي ثقل الوحي فيه، هذا كلام الحافظ في الفتح.

وقال السهيلي وابن دحية: إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نظر إلى معناه، فلوضاءته ونقائه. اهـ

ومنها: ما ذكره العارف ابن أبي جمرة: أنه أعطي برؤيته شق صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات الجارية بالهلاك، فحصلت له صلى الله عليه وآله وسلم قوة الإيمان من **ثلاثة أوجه**:

بقوة التصديق، والمشاهدة، وعدم الخوف من العادات المهلكات.

فكمل له صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عز وجل، وعدم الخوف مما سواه، ولأجل ما أعطيه مما أشرنا إليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين -بفتح الميم- أي: العالم العلوي والعالم السفلي، أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالاً ومقالاً، ففي العلوي كان كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم: أن جبريل عليه السلام لما وصل معه إلى مقامه قال: ها أنت وربك، هذا مقامي لا أتعداه، فزج فيه أي في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة كما أخبر عنه عز وجل بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾"النجم 17" وأما حاله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا العالم، فكان إذا

حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكون سلاحهم، ويقول: (أنا النبي لا أكذب أنا ابن عبد المطلب). اهـ وهو نفيس، لكن ما ذكره عن جبريل من قوله: هذا مقامي لا أتعداه، لم أقف له على إسناد.

تنبيه: تحريم استعمال الذهب إنما حصل في المدينة بعد الهجرة، وشق الصدر حصل قبل ذلك، فلا يرد أن يقال: كيف صح غسل قلبه في طست من ذهب وهو محرم؟ لأن استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

18. حديث: فضل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) رواه مسلم في صحيحه.

قوله: فضلت على الأنبياء بست، هذا العدد لا مفهوم له لأن له فضائل غير هذه الست كما سيأتي قوله، أعطيت جوامع الكلم، أي الكلم الجوامع وهي الأحاديث القليلة اللفظ الكثيرة المعنى، كحديث (إنما الأعمال بالنيات) فإن فيه من الأحكام والفوائد ما أفرد بالتأليف، وله نظائر كثيرة، ذكر جملة منها القاضي عياض في الشفاء، وأحاديث الأربعين النووية، كلها كلمٌ جوامع وهي متداولة مشهورة.

قوله: ونصرت بالرعب أي أن الله ينصره بقذف الرعب في قلوب أعدائه، زاد في رواية أخرى في الصحيحين من حديث جابر: ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر.

قوله: وأحلت لي الغنائم زاد في رواية جابر: ولم تحل لأحد قبلي، والغنائم جمع غنيمة، وهي ما يغنم من العدو في الجهاد، وكان من قبلنا إذا غنموا غنائم جمعوها في مكان فتأتي نار من السماء فتأكلها وكذلك جاء مبيناً في حديث الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله: وجعلت لي الأرض طهوراً-بفتح الطاء-أي: يتيمم بأجزائها، واستدل به على أن التيمم يرفع الحديث: كالوضوء.

قوله: ومسجداً أي موضعاً للسجود لا يختص مكان منها دون الآخر، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم، وفي حديث ابن عباس عند البزار: ولم يكن أحد من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه.

واستدل المالكية والحنفية بقوله: وجعلت الأرض طهوراً، على جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب ورمل وحجر ونحو ذلك، وخصص الشافعية التيمم بالتراب فقط، متمسكين برواية حذيفة في صحيح مسلم: وجعلت تربتها لنا طهوراً، قالوا: فهذا خاص يحمل عليه غيره من الروايات التي وردت عامة، ونوقشوا في هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجح معها جانب القول الأول المؤيد بعموم قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾"النساء 43" وبهديه عليه الصلاة والسلام في التيمم، فإنه لم ينقل عنه أنه التزم التيمم بالتراب فقط، بل كان يتيمم بالأرض التي كان يصلي عليها تراباً كانت أو سبخةً أو رملاً.

قوله: وأرسلت إلى الخلق كافة أي: الإنس والجن، بهذا نطق القرآن وانعقد عليه الإجماع فمدعي خصوص رسالته بالعرب كافر بلا نزاع.

وهل أرسل إلى الملائكة؟ حكى فخر الدين الرازي: الإجماع على أنه غير مرسل إليهم، وقال جماعة من الأشعرية: أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف، ورجح التقي السبكي: أنه أرسل إليهم، وكذا رجحه البارزي وزاد عليه أنه أُرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الضب له بالرسالة، وشهادة الحجر والشجر، وألف الحافظ السيوطي في الانتصار لهذا القول رسالة سماها " تزيين الأرائك في إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملائك" واستدل فيها بعشرة أدلة أقواها كما قال: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾"الأنبياء 26" يعني الملائكة إلى أن قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ - أي: الملائكة- ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾"الأنبياء 29" قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى:﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾"الأنعام 19" فثبت بذلك إرساله إليهم. اهـ[1].

وانظر بقية أدلته في الرسالة المذكورة فهي مطبوعة ضمن كتابه الحاوي في الفتاوى.

1- وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم -في التبكير إلى الجمعة- (فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر) فحضورهم لاستماع الخطبة دليلٌ على أنهم مكلفون بذلك، وصح في أحاديث: أنهم يصلون معنا صلاة الجماعة، وإذا قال الإمام ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قالوا: ﴿آمين﴾ وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: (من أفضل المسلمين) أو كلمه نحوها، قال وكذلك من شهد بدر من الملائكة، فهذا يدل على أنهم مكلفون بشريعتنا.

قوله: وختم بي النبيون، فهو خاتم الأنبياء أي: آخرهم، لا نبي معه في عصره ولا بعد عصره، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

فالقاديانية الذين يزعمون نبوة غلام أحمد القادياني، كفار مرتدون بإجماع المسلمين، ولا تصح مناكحتهم، ولا تؤكل ذبيحتهم، وهم دسيسة استعمارية خدموا مصالح الإنجليز في الهند، وكان زعيمهم القادياني يصرح على رؤوس الأشهاد بحبه لإنجلترا، وولائه لها ويحض أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أنه وجد في بلد تحت رايتها، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المدونة في كتبهم.

ومثلهم في الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار: فرقة البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نسخ بدينهم، وينكرون البعث والنشور والحشر والجنة والنار، والصلاة والصيام ويجيزون إعارة النساء بعضهم لبعض، ويؤلهون زعيمهم ويحجون إلى عكا[1]، ويطوفون بقبر إلههم عباس البهاء، وهي قبلتهم في صلاتهم، وهي صلاة خاصة تخالف صلاة المسلمين، إلى غير ذلك[2] من القبائح، وقد غروا كثيرا من الناس بمصر فدخلوا في ديانتهم، ولهم بالمحلة الكبرى شعبة نشيطة، قاتلهم الله ولعنهم إلى يوم الدين.

1- وحديث (طوبى لمن رأى عكا) مكذوب باطل.

2- والجهاد في دينهم منسوخ، فلا يجوز عندهم جهاد الكفار والمستعمرين، بل يجب اقناعهم بالدخول في دين البهائية، فإن اقتنعوا به ودخلوا فيه، تركوا البلاد لأهلها ورحلوا عنها بلا مقاومة، وهذا كلام سخيف.

19. حديث: خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي) قال أبو هريرة فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم تنتثلونها رواه البخاري ومسلم.

قوله: وأعطيت جوامع الكلم، تقدم شرحه، وقال الهروي: يعني به القرآن جمع الله تعالى: في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه صلى الله عليه وآله وسلم كان بالجوامع قليل اللفظ، كثير المعاني.

قوله: وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال النووي: هذا من أعلام النبوة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته، ووقع كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم ولله الحمد والمنة. اهـ.

قوله: وأنتم تنتثلونها أي: تستخرجون ما فيها، يعني خزائن الأرض، وما فتح على المسلمين من الدنيا بسبب الفتوحات الإسلامية.

تنبيه

ذكر في هذا الحديث والذي قبله سبعة خصال من خصوصياته، وبقيت خصال أخرى منها: إعطائه الشفاعة، رواه الشيخان من حديث جابر، والمراد بها الشفاعة العظمى، ومنها: تسميته بأحمد، وجعلت أمته خير الأمم، رواه أحمد من حديث علي عليه السلام، ومنها: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ـ يعني في الصلاة ـ رواها مسلم من حديث حذيفة، ومنها: إعطاؤه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، رواه النسائي وابن خزيمة عن حذيفة

أيضاً، ومنها غفران ما تقدم من ذنبه[1]، وما تأخر وإعطائه الكوثر، وكونه صاحب لواء الحمد يوم القيامة، رواها البزار عن أبي هريرة، ومنها: إسلام شيطانه، رواها البزار عن ابن عباس، فهذه ست عشرة خصلة.

قال الحافظ في الفتح ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب شرف المصطفى أن الذي اختص به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ستون خصلة. اهـ.

قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى ولم أقف على من عدها، وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيتها أربعة أقسام:

1-قسم اختص به في ذاته في الدنيا.

1- قد يشكل عد هذه من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم لأن الأنبياء جميعهم مغفور لهم، بل هم معصومون، وما نسب إليهم من ذنوب، فهو على سبيل الكناية، أو التعريض، أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ويجاب على هذا الإشكال بأن هذه الخصلة عدت من خصائصه باعتبار ظهور ثمراتها في الآخرة، ذلك أن الأنبياء يعتريهم من هول الموقف وفزعه، ما ينسيهم حالهم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾"المائدة 109" ويقول كبراؤهم حين تطلب منهم الشفاعة إن الله قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي، لأن كل واحد منهم لا يأمن أن يؤاخذ مما عد عليه ذنباً، أما نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فيكون في ذلك المواقف قوي القلب، رابط الجأش، لا يلحقه فزع، ولا يغشاه هول، تطلب منه الشفاعة فيقول (أنا لها، أنا لها) ولا يعتذر كما اعتذر غيره، ويستشهد به الرسل على تصديقهم في إبلاغ قومهم. فيصدقهم ويؤيدهم، ويراجع ربه في أمته، مرة بعد مرة حتى يقول له مالك خازن النار: ما تركت لغضب ربك من أمتك بقية، وما ذاك إلا لأنه عرف من قول الله تعالى ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾"الفتح 2" أنه لا يعاتبه يوم القيامة ولا يؤاخذه، فهذه الخصلة مما اختص بها في ذاته في الآخرة كما تبين.

2- وقسم اختص به في ذاته في الآخرة.

3-وقسم اختص به في أمته في الدنيا.

4-وقسم اختص به في أمته في الآخرة. اهـ

ثم أوردها مفصلة على الأبواب فليراجعها من أراد، والله ولي التوفيق والسداد.

20. حديث: الله يعطي وأنا أقسم

عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أبو القاسم الله يعطي وأنا أقسم) رواه الحاكم وصححه وسلمه الذهبي.

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن جابر قال: ولد لرجل منا غلام فسماه محمداً، فقلنا، لا نكنيك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تستأمره، قال: فأتاه فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فإنما بعثت قاسماً أقسم بينكم)[1].

فهذه الروايات الصحيحة تبين أنه صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها، وليس قسمه صلى الله عليه وآله وسلم خاصاً بمال الفيء والغنائم، بل هو عام كما ذكرنا، والله أعلم.

1- وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت).

قوله: تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، قال النووي: اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة جمعها القاضي وغيره:

إحداهما: مذهب الشافعي وأهل الظاهر: أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلاً سواء كان اسمه محمد أو أحمد، أم لم يكن لظاهر هذا الحديث.

والثاني: أن هذا النهي منسوخ، فإن هذا الحكم كان في أول الأمر، لهذا المعنى المذكور في الحديث، وهو أن رجلاً نادى بالبقيع: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلاناً فقال: (تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي) ثم نسخ، قالوا: فيباح اليوم التكني بأبي القاسم لكل واحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره، وهذا مذهب مالك.

قال القاضي: وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء، قالوا: وقد اشتهر أن جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار.

الثالث: مذهب ابن جرير: أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم.

الرابع: أن النهي عن التكني بأبي القاسم مختص بمن اسمه محمد أو أحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر.

الخامس: أنه ينهى عن التكني بأبي القاسم مطلقاً وينهى عن التسمية بالقاسم، لئلا يكني أبوه بأبي القاسم، وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه

عبد الملك حين بلغه هذا الحديث، فسماه عبد الملك، وكان اسمه أولاً القاسم، وفعله بعض الأنصار أيضاً.

السادس: أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقاً سواء له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (تسمون أولادكم بمحمد ثم تلعنونهم) وكتب عمر إلى الكوفة لا تسموا أحدا باسم نبي، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتى ذكر له جماعة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أذن لهم في ذلك وسماهم به فتركهم.

قال القاضي: والأشبه أن فعل عمر هذا إعظام لاسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث (تسمونهم محمداً ثم تلعنونهم) وقيل سبب نهي عمر أنه سمع رجلاً يقول: لمحمد بن زيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر فقال: أرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسب بك، والله لا تدعى محمداً ما بقيت، وسماه عبد الرحمن. اهـ [1]

1- انظر الفارق الكبير بين فعل عمر رضي الله عنه وبين فعل إمام أهل السنة في زعم أتباعه الشيخ محمود خطاب السبكي فقد رد على خصم له اسمه محمد الأمير فقال إن اسمه على وزن مخنث ولقبه على وزن الحمير!!.

لكن لم يكتب الرد باسمه بل ستر باسم بعض أصحابه كعادته في أغلب ردوده حسبما حققه صديقنا العلامة الشيخ مصطفى الحمامي في كتبه التي كشف بها عن هذا الإمام المزعوم وهذا الشخص في الحقيقة بعيد عن السنة وأهلها بعداً شاسعاً لأنه تعلم في الأزهر والأزهر أقفر من علوم السنة منذ سنين. وقد حضرت دروسه في البخاري قبل أن يحال إلى المعاش فوجدته لا يعرف من الحديث كثيراً ولا قليلاً وإن أردت أن تعرف قيمة شرحه لأبي داود وقد هول به أتباعه كثيراً فاقرأ بعض الشروح المطبوعة بالهند كعون المعبود فعند ذلك لا تملك إلا أن تقرأ على شرحه قول القائل:

صارت مشرقةً وصرت مغرباً　　　شتان بين مُشرقٍ ومغربٍ

وتخاطب إمام أهل السنة بقول آخر

إذا لـم تـسـتـطع شـيـئاً　　　فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وحديث (تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم) رواه البزار وأبو يعلى وابن عدي والحاكم من حديث أنس، وهذا الحديث معدود في فضائل التسمية باسمه صلى الله عليه وآله وسلم، مع دلالته على احترام الاسم الشريف وتوقيره.

وقال ابن سعد في الطبقات: أنا مطرف بن عبد الله اليساري حدثنا محمد بن عثمان العمري عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) وهذا مرسل.

وأخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من تسمى باسمي يرجو بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة) وجهم جهله أبو حاتم، وضعفه الأزدي.

وروى ابن القاسم في سماعه، وابن وهب في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا، ورزق جيرانهم.

وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي جزء مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يتم فوائده ويكمل مقصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها، يسر الله وأعان عليه.

قوله: يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف... إلخ يؤيد هذا العموم ويؤكده أمران:

الأول: قوله إنما بعثت قاسماً، وهو إنما بعث لقسم ما أوتي من الهدي والنور والعلم والعرفان، فأما قسم الفيء والمغانم فهو أمر ثانوي، إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المشركين بعد الهجرة.

الثاني: أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن غيره أن يكتنى بأبي القاسم وعلل النهي بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الفي والمغانم، لم يكن لهذا النهي والتعليل معنى، لأن كل إمام وخليفة يقسم المغانم بين المجاهدين، كما كان يفعل عمر[1]، وغيره من الخلفاء.

وذلك هو المقرر في الشرع، فلولا أنه صلى الله عليه وآله وسلم اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنى كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم، فاختص زيد بن ثابت بالفرائض، ومعاذ بعلم الحلال والحرام، وأُبياً وابن مسعود بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أحوال المنافقين وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بجرابين من العلم بث أحدهما ولم يبث الآخر مخافة القتل كما في صحيح البخاري، وعلياً بعلم القضاء وعلوم أخرى (وسماه باب مدينة العلم) وهكذا كل صحابي له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باب من العلم أو أبواب، على قدر استعداده[2].

1- قال أبو عبيد في الأموال: أخبرنا عبد الله بن صالح، أخبرنا موسى بن علي عن أبيه أن عمر خطبهم بالجابية ـ مكان بالشام ـ فقال: من أراد القرآن فليأت أُبياً، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيداً، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذاً، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني خازناً وقاسماً.

2- قال العلامة الذائق المحقق أبو النجا محمد القوي في شرحه على سطور الأعلام في مبادئ الإيمان والإسلام لولي الدين أبي زرعة العراقي ما نصه: اعلم أن الله أبرز عالمين: عالما اختراعياً، وعالما ابداعياً، أشار إليهما بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾"الأعراف 54"، وقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾"الأنعام 73" فعالم الغيب هو عالم الملكوت، وعالم الملكوت هو عالم الاختراع، وهو عالم الأمر وهو العالم العلوي، وهو عالم الفتق، وعالم الشهادة هو عالم الملك، وعالم الخلق، وعالم الإبداع وهو العالم السفلي، وهو عالم الرتق، ولكل عالم من هذه العوالم سر أودعه الله فيه لشهود العظمة وظهور القدرة، وقد استودع الله مصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم تلك الأسرار الإلهية وجعله أميناً عليها، يفيض على من أراد الله

ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته حي في قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع كما سيأتي في الحديث السادس والعشرون، والموفقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه، ويرون نوره سارياً في الوجود، ويرون كل خير واصِلاً إليهم عن طريقه، لا يرتابون في ذلك لأنهم رأوه عياناً، حققنا الله به حتى نزداد معرفة لقدر هذا النبي الكريم والرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

21. حديث: محمد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) رواه مسلم في صحيحه.

قال العلماء: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا أيضاً، لأن في يوم القيامة تظهر سيادته لكل الناس لا ينازعه فيها منازع بخلاف الدنيا، فقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾"غافر 16" مع أن الملك له سبحانه وتعالى: قبل ذلك، وإنما قيد بذلك اليوم لخضوع الكل وفقد المنازع.

قوله: (أنا سيد ولد آدم) السيد هو الذي يفزع إليه الناس في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارههم، ويدفعها عنهم، وهكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، فكان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب

من أهله لاستفاضتها، وما أهل له، ويخاطب الناس على قدر عقولهم. اهـ، بلفظه من نسخة عليها خط الفيض والشوبري.

المعدوم ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق كما قالت خديجة رضي الله عنها، وكان إذا مات مسلم وعليه دين قضى عنه دينه، وإذا أتاه ملهوف أغاثه، وإذا قحط الناس أتوه مستشفعين مستغيثين، كما قال عمه أبو طالب:

وأبـــــيض يستســـــقى الغمـــــام بوجهـــــه
ثمـــــال اليتـــــامى عصـــــمة للأرامـــــل

وقال آخر:

ولـــــيس لنـــــا إلا إليـــــك فرارنـــــا
وأيـــــن فـــــرار النـــــاس إلا إلى الرســـــل

وأما في الآخرة: فيفزع إليه أهل الموقف ليشفع إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك اليوم وطوله وهوله، فيقول: (أنا لها.. أنا لها) فيذهب إلى العرش فيستأذن فيؤذن له، فإذا رأى الله سجد وحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد، فيدعه الله ساجداً حامداً ما شاء أن يدعه ثم يناديه (ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع) فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته، ولهذا قال (أول شافع وأول مشفع) (بفتح الفاء المشددة).

وقوله: وأول من ينشق عنه القبر، وذلك عند قيام الناس للموقف حين ينفخ في الصور نفخه ثانية، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ[1] ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

1- اختلف في المستثنى من هو؟ فقيل هم الملائكة، وقيل هم حملة العرش، وقيل: جبريل، وقيل ميكائيل، وقيل ملك الموت، وقيل: الجنة والحور العين، وكل هذه أقوال ضعيفة أو باطلة، الصحيح أن المستثنى هم الأنبياء والشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وإذا نفخ في الصور لا يصعقون، تكريماً لهم وتبجيلاً لقدرهم.

يَنظُرُونَ﴾"الزمر 68" وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم ليمتثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾"الضحي 11" وليبين لأمته ذلك حتى يعتقدوه ويعملوا بمقتضاه فلا ينادونه أو يذكرونه باسمه المجرد كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله.

22. حديث: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب، ورواه أبو نعيم في الدلائل ولفظه (أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا وقائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا أنصتوا وأنا شافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرامة ومفاتيح الجنة ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليَّ ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ منثور).

قوله: (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا) أي: أثيروا من قبورهم، وهذا معنى قوله في الحديث السابق (وأول من ينشق عنه القبر).

قوله: (وأنا خطيبهم إذا وفدوا) أي: على ربهم، لأن العادة في وفود القوم على الملك: أن يتكلم أمامه زعيم القوم ورئيسهم.

قوله: (وأنا مبشرهم) أي: بقبول شفاعتي عند الله، إذا أيسوا من وجود شافع بعد ترددهم على الأنبياء وقول كل نبي: نفسي نفسي.

وقوله: (لواء الحمد) أي: راية الحمد يومئذ ـ يوم القيامة ـ بيدي، وذلك جرياً على العادة عند العرب أن اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه، قال الحافظ السيوطي: وهذا لواء معنوي، والمراد أنه يشهر بالحمد في ذلك اليوم. اهـ، أي: لأنه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد قبله، ولأن أهل الموقف كلهم آدم ومن دونه يحمدون موقفه في الشفاعة العظمى التي اختصه بها الله، ولهذا سمي أيضاً: صاحب المقام المحمود.

قوله: (وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) أي: أكثرهم كرامة عنده، وأوفرهم منزله لديه، ولا فخر: أي لا أقول هذا فخراً ولكن تحدثاً بالنعمة وقياماً بواجب التبليغ وإعلاماً للأمة ليزدادوا حُباً لي واتباعا لسنتي.

قوله: في الرواية الثانية (وأنا خطيبهم إذا أنصتوا) أي: من هيبه الله وجلال الموقف ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾"طه 108" ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾"النبأ 38".

قوله: (إذا حبسوا) أي: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم وقوف شاخصة أبصارهم ينتظرون ما يُفعل بهم وما يُقال لهم.

قوله: (إذا أبلسوا) أي: أصيبوا بالإبلاس وهو الانكسار والحزن من غم ذلك اليوم.

قوله: (لواء الكرامة) هو ما يعطى في ذلك اليوم من المزايا والمكرمات، ومفاتيح الجنة كناية عن عدم دخول أحد لها قبله.

قوله: (يطوف عليَّ ألف خادم)... إلخ، هذا بيان لبعض ما يعطاه في الجنة، والبيض (بفتح الباء) بيض النعام، ومعنى مكنون: مستور بريشه لا يصل إليها

غبار، ولونه أحسن ألوان النساء، واللؤلؤ: معروف، ومعنى منثور: منتثر غير مجموع في نظام، وذلك أنهن بطوّافهن عليه وقيامهن بخدمته أشبهن لؤلؤاً متفرقاً غير مجتمع، والله أعلم.

23. حديث: مثلي ومثل الأنبياء

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) رواه مسلم في صحيحه، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة وأبي سعيد، ورواه الترمذي من حديث أُبي بن كعب وزاد في آخره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر) ثم قال: حديث حسن.

قوله: (مثلي ومثل الأنبياء) المراد من ضرب المثل تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الذهن لاستعانته فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد، قال الزمخشري: التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان الممثل له عظيم، كان الممثل به مثله، وإذا كان حقيراً كان الممثل به كذلك. اهـ.

وقال الأصفهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء للنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك

المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. اهـ.

فالمراد من ضرب المثل في هذا الحديث بيان حاله صلى الله عليه وآله وسلم مع حال الأنبياء قبله، وذلك أن الأنبياء السابقين بعثوا لقومهم خاصة، فكانت شرائعهم محمودة تناسب حالهم وزمنهم، فمثلهم في ذلك مثل دار بنيت وتم بناؤها إلا أنه ينقصها موضع لبنه، حتى جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً للنبوة، وبعث بشريعته تامة عامة لا يعتريها نسخ ولا تبديل، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة، فبه تم بناؤها وحسن مظهرها، واستوفت أوجه الكمال، ولهذا لم يبق الناس بعده في حاجة إلى نبي أو رسول، ويستفاد من الحديث جواز ضرب المثل في العلم وغيره.

وقوله: في الرواية الثانية (كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر) (بفتح الفاء وكسر الخاء) أي: غير مفتخر بذلك، على ما سبق بيانه.

وللدارمي بإسناد رجاله ثقات عن جابر (أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) وفي هذه الروايات دليل تفضيله على الأنبياء والملائك، لأن هذه الفضائل التي أعطيها لم تعط لنبي ولا ملك، صلى الله عليه وآله وسلم وزاده تشريفاً وتعظيماً وتكريماً.

24. حديث: حوضي مسيرة شهر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ـ أي: طوله كعرضه ـ وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا).

رواه البخاري ومسلم، وأحاديث الحوض كثيرة بالغة مبلغ التواتر.

قوله: (حوضي مسيرة شهر) أي: مسيرته شهر طولاً عرضاً وهذا كناية عن عظمه وسعته.

قوله: (ماؤه أبيض من الورق) (بكسر الراء) أي: الفضة، وفي رواية: اللبن.

قوله: (كيزانه كنجوم السماء)، وفي رواية أخرى (والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها).

قوله: (فمن شرب منه لا يظمأ بعده أبداً) أي: ظمأ ألم، ولكن يظمأ ظمأ اشتهاء واِلتذاذ، والظمأ: العطش.

قال القاضي عياض: ظاهر هذا الحديث أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك. اهـ.

تنبيه

أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب كما نص عليه القاضي عياض والنووي وغيرهما، وجمع الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور طرق حديث الحوض فأفاد، وأوصل الحافظ السيوطي عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة

وخمسين صحابياً، ذكر أسمائهم واحداً واحداً، مع عزو أحاديثهم وتخريجها في كتاب الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة وأنكره المعتزلة، كما أنكروا الشفاعة والميزان[1]، لجهلهم بالسنة النبوية والله أعلم.

25. حديث: إسلام قرينه صلى الله عليه وآله وسلم

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينُه من الجن وقرِينُه من الملائكة) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال (وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) رواه مسلم في صحيحه.

قوله: (فأسلم) قال النووي: برفع الميم وفتحها، روايتان مشهورتان فمن رفع قال معناه: فأسلم أنا من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (فلا يأمرني إلا بخير).

واختلفوا في رواية الفتح، قيل أسلم بمعنى: استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم: فاستسلم، وقيل معناه: صار مسلماً مؤمناً، وهذا هو الظاهر، قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه. اهـ

1- وقلدهم مبتدع أزهري، فأنكر الميزان في محاضرة له، كما قال في كلمة له نشرت بمجلة الرسالة: إن الشيطان قوة الشر الكامنة في النفس، وله غير هذا طامات ومصائب، أراد بها الشهرة والظهور على حساب العلم والدين، وكم له في الأزهريين من نظير.

قلت: الصحيح الراجح ما رجحه عياض والنووي: أنه أسلم من الإسلام[1]، لما رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعاً (فضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم، ونسيت الأخرى)

وللبيهقي في الدلائل بإسناد ضعيف، عن ابن عمر مرفوعاً (فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانني الله حتى أسلم، وكنَّ أزواجي عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً، وزوجه عوناً على خطيئته).

وعلى هذا درج أصحاب الخصائص فعدوا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم إسلام قرينه.

1- روى الطحاوي في مشكل الآثار حديث ابن مسعود كما في صحيح مسلم، وروي من طريق مجاهد عن الشعبي عن جابر قال: قال لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تدخلوا على المغيبات ـ جمع مغيبة وهي المرأة التي غاب عنها زوجها بسفر أو بغيره ـ فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم) قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال (ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم).

وروي أيضا عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة وكان معي على فراشي، فوجدته ساجداً... وذكرت الحديث، قالت: فلما انصرف قال (يا عائشة أخدعك شيطانك؟) فقالت: أما لك شيطان؟ قال (ما من آدمي إلا وله شيطان) فقلت: وأنت يا رسول الله؟ قال: (وأنا ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم).

قال الطحاوي: فوقفنا بهذا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في هذا المعني كسائر الناس، وأن الله أعانه بإسلامه، فصار في السلامة منه بخلاف غيره من الناس، ثم قال الطحاوي: فإن قال قائل: قد روي في هذا الباب شيء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خص به من إسلام شيطانه، ثم أسند من حديث صفوان الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال (بسم الله وضعت جنبي اللَّهُمَّ اغفر ذنبي واخسأ شيطاني وفك رهاني وأثقل ميزاني واجعلني في الندي الأعلى) قيل له: هذا عندنا- والله أعلم ـ كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحال أن يدعوا صلى الله عليه وآله وسلم فيه بذلك، مع إسلامه الذي هو عليه. اهـ وهو جمع جيد، والله أعلم.

وفي الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد لنحترز من وسوسته وفتنته، والله المستعان على ذلك وبالله التوفيق.

26. حديث: حياتي خير لكم

عن ابن مسعود أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (حياتي خيرٌ لكم تُحْدِثون وُيحْدَث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خيرٍ حمدت الله وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم)[1]

قوله: (حياتي خيرٌ لكم) أي: فيها خيراً لكم، تحدثون -بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال -أي أمور وأشياء مما لم يكن فيها حكم، ويحدث لكم -بضم الياء وفتح الدال المخففة -أي يحدث الله لكم من الأحكام بقدر ما حدث منكم مما يقتضي ذلك.

قوله: (ووفاتي خيرٌ لكم) أي: فيها خيرٌ لكم ثم بين ذلك الخير بقوله (تعرض عليّ أعمالكم) وهذا لفظ عام يشمل عرض الأعمال من جميع الأمة إلا من كان مرتداً أو كافراً، عياذاً بالله تعالى، وهذا يستلزم حياته في قبره، لأن العرض يقتضي ذلك عقلاً، فما رأيت من خير حمدت الله عليه وسررت به،

1- رواه البزار بإسناد جوده الحافظ العراقي، وصححه الحافظ الهيثمي والجلال السيوطي والشهاب القسطلاني، ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلاً بإسنادين صحح إحداهما الحافظ بن عبد الهادي المقدسي، وله مع هذا طرق كثيرة، وعرض الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العصاة والمبتدعين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم لا تعرض أعمالهم عليه، فإذا دعاهم يوم القيامة إلى حوضه، قيل له: لا تدري ما أحدثوا من بعدك، فيقول (سحقاً لمن بدل بعدي، سحقاً لمن بدل بعدي) كما جاء في الصحيحين من طرق، وبهذا يتفق الحديثان، ولا يبقى بينهما تعارض البتة، أما ترجيح إحداهما على الأخر مع إمكان الجمع فغير جائز لأنه إلغاء لأحد الدليلين لغير مقتضى، وهو حرام كما نص عليه العلماء.

وما رأيت من شر استغفرت الله لكم، أي: طلبت المغفرة لكم من الله، وفيها تحريض على ترك المعاصي بطريق لطيف، لأن من عَلِمَ أن عمله يعرض على نبيه، اجتهد أن يسره وألا يحوجه إلى الاستغفار من عمله، وقد ذكرت هذا الحديث بإسناده، وأوردت بعض الطرق المؤيدة له في كتاب (الرد المحكم المتين) فليراجع[1].

27. حديث: إلا سببي ونسبي

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج ابنة عليّ رضي الله عنه: ألا تهنوني؟! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبى) رواه الطبراني والدارقطني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة، قلت: وصححه أيضاً التاج السبكي في أول طبقات الشافعية الكبرى، وللحديث مع هذا طرق عن عمر وابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وقد أوردت هذه الطرق في كتابي الرد المحكم المتين وجمعت بينهما وبين حديث الصحيحين (يا فاطمة اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيء).

قوله: (ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب) وذلك لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾"المؤمنون 101".

1- ثم أفردته بجزء سميته نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال وهو مطبوع، ولما اطلع عليه شقيقنا الحافظ أبو الفيض- رحمه الله، كتب إلي يقول: قلمك فيه مثل قلم الحافظ الذهبي.

قوله: (إلا نسبي وسببي) أي: فإنه موصول غير مفصول، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زواج ابنة علي رضي الله عنه واسمها أم كلثوم، ليكون له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب صهارة ينال بها القرب منه يوم القيامة، وفي هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة، وإن في الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفاً وفضلاً.

وليس بين هذا الحديث وحديث فاطمة[1]، (اعملي.... إلخ)، تعارض أصلاً كما بينته في الرد المحكم المتين من ثلاث أوجه، وبينت فساد ما يزعمه

1- لفظ الحديث (يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت أنقذي نفسك من النار فإني لا أغني عنك من الله شيئاً) وهذا طرف من حديث طويل، ثبت في الصحيحين وغيرهما، وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من **وجوه ثلاثة:**

الأول: أن هذا الحديث أخبر بالحقيقة، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يغني عن أحد من الله شيئاً ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً، وهذا لا ينافي أن الله يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة، وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهم، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عز وجل، وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات، ذكر هذا المعنى الحافظ المحب الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلمه الله أنه ينفع يوم القيامة رحمه وأقاربه بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السيد السمهودي في جواهر العقدين، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾"الشعراء 214" وكان ذلك بمكة في أوائل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك، وأنه لا يملك لهم من الله شيئاً إن أشركوا، أو استمر من كان منهم مشركاً على إشراكه، لأن المشرك لا حظ له في الشفاعة، **ويؤيد هذا أمور:**

أحدها: أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين، كما يعلم سبب ورود الحديث.

ثانيها: أنه وجه الخطاب إلى جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أن يكون على وتيرة واحدة وهي التحذير من الشرك كما هو واضح.

الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف، فليراجعه من أراد، والله ولي التوفيق والسداد.

28. حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن يساره يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد) يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام، رواه البخاري ومسلم.

قوله: عليهما ثياب بيض (-بكسر الباء ـ وفي رواية أخرى: ثياب بياض) قال النووي: في هذا الحديث بيان كرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الله تعالى، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل[1]، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: (أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله) فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذا هو مات على التوحيد، وقد روى أحمد والحاكم والبيهقي من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر: (ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة؟ بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض) فهذا الحديث ورد بالمدينة، وقد أنكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرر أن رحمهم موصولة في الدنيا والآخرة، وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضاً، حيث يكون فرطا لهم على الحوض وهذا يؤيد ما قررناه، والحمد لله.

1- وأنهم متعبدون بشريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أحد الأدلة على أنه أرسل إلى الملائكة.

الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة. اهـ.

ولقد رأى جماعة من الصحابة جبريل عليه السلام في صورة دحية منهم: ابن عباس وعائشة وأم سلمة، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين حتى اكتوى، ثم لما زال الكي عادت إلى السلام عليه كما بينته في كتاب الحجج البينات في إثبات الكرامات وبالله التوفيق.

29. حديث: آتي باب الجنة يوم القيامة

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك) رواه مسلم في صحيحه.

قوله: (فيقول بك) أي: بسببك، ولأجلك أمرت، أي: أمرني الله ألا أفتح باب الجنة لأحد قبلك، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، فهو أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وهذا من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكره العلماء وهذا الحديث: رواه مسلم في كتاب الإيمان في صحيحه، ورواه الإمام أحمد أيضاً، وهو أول حديث في الجامع الصغير، والجامع الكبير للحافظ السيوطي. والله أعلم.

30. حديث: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام، كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين أيضاً عن جابر بن عبد الله قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فقال: لا.

قوله: أجود ما يكون في شهر رمضان، روي برفع أجود ونصبه، قال النووي: والرفع أصح وأشهر، وفي هذا الحديث -كما قال النووي- فوائد منها: بيان عظم جوده صلى الله عليه وآله وسلم واستحباب إكثار الجود في شهر رمضان، وزيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها: استحباب ودراسة القرآن. اهـ

وفي زاد الميعاد لابن القيم ما نصه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه الله تعالى ولا يستقله، ولا يسأله أحد شيئاً عنده إلا أعطاه قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء من لا يخشى الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه، وتارة بلباسه، وكان يتنوع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثم يعطي البائع الثمن، والسلعة جميعاً، كما فعل بجابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أفضل منه أكثر وأكثر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية، ويكافئ عليها بأكثر منها، أو بأضعافها تلطفاً وتنوعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن،

وكانت صدقاته وإحسانه بما يملكه، وبحاله وبقوله: فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقة ويحض عليها ويدعوا إليها بحاله.

وقوله: فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه من السماحة والهدى.

وكان هديه صلى الله عليه وآله وسلم يدعوا إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم أشرح الخلق صدراً وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً في شرح الصدور، وأضيف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة، والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حساً وإخراج حظ الشيطان منه. اهـ، وهو نفيس جداً.

قوله: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط، فقال: لا، معناه كما قال العلماء: إنه إذا كان عنده شيء أعطاه للسائل، وإن لم يكن عنده سكت، أو وعد بالعطاء، ولا يقول: لا، لما في هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر خاطره، وما كان من خلقه صلى الله عليه وآله وسلم قطع رجاء من أمله، أو رده خائباً.

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه   أو يرجع الجار منه غير محترم

وإذا كان الفرزدق يقول في علي زين العابدين عليه السلام:

ما قال: لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فما ظنك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

فإن قيل هذا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾"التوبة 92" حيث أثبتت الآية الكريمة ضد ما أفاده هذا الحديث، فالجواب: أنه لا منافاة بينهما لأن الآية لم تثبت له قول "لا" المجردة الدالة على عدم الإعطاء، وإنما أثبتت قول "لا" المقرونة بالفعل المضارع الدال على الحال، أي: لا أجد الآن ما أحملكم عليه، وأرجو في المستقبل، فهو في معنى العدة كما لا يخفى. والله أعلم.

31. حديث: أكثروا من الصلاة عليَّ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها) قال: قلت وبعد الموت؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

رواه ابن ماجة والطبراني بإسناد جيد، ورواه ابن المقري من طريق آخر، وزاد في آخره من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فنبي الله حي يرزق).

ولأحمد وأبي داود وابن ماجة من حديث أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي) قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعنى: بليت ـ فقال: (إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) صححه ابن حيان والحاكم.

قوله: (أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة) أي: يأتون أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول حتى إذا خرج الإمام طووا الصحف وقعدوا يستمعون الذكر[1].

قوله: (وإن أحداً لن يصلي عليّ إلا عرضت صلاته) - من أول ما ينطق بها حتى يفرغ منها - بأن تبلغه الملائكة إليه فيدعوا للمصلين عليه ويستغفر لهم، كما جاء في حديث عمر عند ابن بشكوال، والحكمة في تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه أفضل الأيام، كما صح في الحديث وهو أفضل المخلوقات، فكانت بينهم مناسبة ظاهرة.

قوله: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) كناية عن عدم لحوق البلى لأجسادهم الشريفة، مهما تطاول عليهم الزمان.

قوله: (فنبي الله حي يرزق) هذا مأخوذ من القرآن الكريم، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم﴾"آل عمران 169-170"، والأنبياء أولى بهذا من الشهداء إجماعاً، وفي الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر ليلة الإسراء على موسى وهو قائم يصلي في قبره، أخرجه مسلم عن أنس.

ولأبي يعلى بإسناد صحيح عن أنس مرفوعاً (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون).

1- أي: الخطبة، وهو يفسر ذكر الله في آية الجمعة، فالسعي إلى خطبة الجمعة واجب، ولا عبرة بمن قال خلاف ذلك، والحديث يفيد أن الملائكة متعبدون بحضور خطبة الجمعة.

ولابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً (لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس).

قوله: (أرمت) ـ بفتح الهمزة والراء ـ أي: صرت رميماً، وإنما قالوا ذلك لعدم علمهم بما خص الله الأنبياء بعد وفاتهم، فأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم أن الأنبياء لا يبلون، فهو صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبره الشريف تعرض عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه، وإذا سلم عليه أحد رد عليه السلام كما ثبت في أحاديث أخرى.

وروى البيهقي في جزء حياة الأنبياء عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: (نعم وأرد عليهم).

وروى أبو نعيم عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة، وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الآذان من القبر، وللزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد نحوه.

قوله: صححه ابن حبان والحاكم، قلت: قال الحاكم بعد أن رووا هذا الحديث صحيح على شرط البخاري، وسلمه الحافظ الذهبي والله أعلم.

تنبيهـــــــــات

التنبيه الأول: قال القاضي عياض: اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى: بالصلاة عليه، وحمله الأئمة والعلماء له على الوجوب[1] وأجمعوا عليه. ا.هـ.

والواجب منها تكفي فيه مرة واحدة، وما زاد عليها فهو مندوب مرغب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة فذهب الشافعي إلى وجوبها وقال: تبطل الصلاة بتركها، ووافقه محمد بن المواز من أئمة المالكية، وذهب جمهور العلماء إلى أنها سنة لا تبطل الصلاة بتركها.

التنبيه الثاني: تسن الصلاة في سائر الأزمان والأمكنة، لكن تتأكد في حالات خاصة وردت بها السنة مثل يوم الجمعة كما ذكر في حديث الترجمة، **قال الحافظ ابن حجر:** تتأكد الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جياد عقب:

1-إجابة المؤذن.

2-وأول الدعاء.

3-وأوسطه.

4-وآخره وأوله آكد.

5-وآخر القنوت.

1- قال بعض العارفين:

الله عظـــم قـــدر جـــاه محمــــد	وأنـــاله فضـــلاً لديــــه عظيمـــا
في محكـــم التنزيـــل قـــال لخلقـــه	صـــلوا عليـــه وســـلموا تســـليما

6-وفي أثناء تكبيرات العيد.

7-وعند دخول المسجد.

8-والخروج منه.

9-وعند الاجتماع.

10-والتفرق.

11-وعند السفر

12-والقدوم.

13- والقيام لصلاة الليل.

14-وختم القرآن.

15-وعند الكرب والهم.

16-وقراءة الحديث.

17-وتبليغ العلم.

18-والذكر.

19-ونسيان الشيء.

وورد أيضاً في أحاديث ضعيفة:

20- عند استلام الحجر.

21-وطنين الآذن.

22- والتلبية

23-وعقب الوضوء.

24-وعند الذبح.

25-والعطاس.

وورد المنع منها عندهما أيضاً. اهـ

ومن المواضع التي تتأكد فيها أيضاً:

26-التشهد الأول في الصلاة.

27-وبعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة.

28-وفي خطب الجمعة والعيدين.

29-وعند ذكره.

30-وعند الخروج إلى السوق أو إلى دعوة.

31-وعند رؤية المساجد والمرور عليها.

32-وعند كتابة اسمه الشريف.

33-وفي أول النهار وآخره.

34-وعقب الذنب.

35-وإذا أريد تكفيره.

36-وعند حصول الفقر أو خوف حصوله.

37-وعند خطبة النكاح.

38-وعند دخول المنزل.

39-وعند عروض الحاجة، وأريد قضاؤها.

40-وعند النوم.

41-وإذا أراد الشخص الصدقة ولم يكن عنده مال.

42-وفي الصلاة إذا مر ذكره حال القراءة، في غير التشهد.

41-وعند كل كلام خير ذي بال.

وقد ذكر الحافظ ابن القيم في جلاء الأفهام والحافظ السخاوي في القول البديع هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار، وكلا الكتابين مطبوعان.

الثالث: قال أبو العالية: معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه، ونقل القاضي عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي من الله تشريف، وزيادة تكرمة، وعلي من دون النبي رحمة.

وقال الحليمي في شعب الإيمان -وهو كتاب نفيس ينقل عنه البيهقي كثيراً في كتاب الأسماء والصفات-: أما الصلاة في اللسان فهي التعظيم، وذكر كلاماً في هذا المعنى إلى أن قال: فإذا قلنا اللّٰهُمَّ صل على محمد، فإنما نريد اللّٰهُمَّ عظم محمداً في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه، وإبقاء شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود. اهـ

قال الحافظ: ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه، فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به. اهـ

وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المغفرة فقد أبطله ابن القيم، وخَطَّأ قائله من عدة وجوه قوية ذكرها في جلاء الأفهام.

قال القاضي عياض رضي الله عنه وفي معني السلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدراً كاللذاذ واللذاذة.

الثاني: السلام على حفظك ورعايتك مثول له وكفيل به، ويكون السلام هنا اسم الله تعالى.

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾"النساء 65". اهـ

الرابع: قال الشيخ مصطفي التركماني في شرح مقدمة أبي الليث ما نصه: فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلي عليه، ونحن نقول: اللّٰهُمَّ صلِّ على محمد، فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا، يعني أن يقول العبد: أصلي على محمد؟ قلنا: لأنه صلى الله عليه وآله وسلم طاهر لا عيب فيه، ونحن فينا المعايب والنقائص، فكيف يثني من فيه معايب على طاهر؟! فنسأل الله تعالى: أن يصلي عليه، لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر، كذا في المرغيناني. اهـ

ومن حكمة ذلك أيضاً كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره: أننا لا نبلغ قدر الواجب من ذلك ولا نعرف ما يليق به، فوكلناها إلى الله تعالى: لأنه يعلم ما يليق بنبيه، فهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا أحصي ثناء عليك).

ومباحث الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم من حيث فضلها ومواضعها وفوائدها وغير ذلك واسعة منتشرة، أفردت بتآليف عديدة، ومن أحسنها وأجمعها جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم، وأجمع منه كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للحافظ السخاوى، وهو كتاب نفيس لا يستغني عنه، وقد جمع النبهاني في مقاصد هذين الكتابين وغيرهما في كتاب سعادة الدارين فجاء كتاباً حافلاً رحم الله مؤلفه وجزاه عن صنيعه خير الجزاء وبالله التوفيق.

32. حديث: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل) رواه مسلم في صحيحه.

قوله: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً) فيه دليل على حسن خلقه وكرم طبعه وكثرة حلمه.

وفي الصحيح عن أنس (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس خلقاً).

وقال أنس أيضاً (خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع سنين فما أعلمُه قال لي لم فعلت كذا وكذا، ولا عاب علي شيء قط).

والخبر عن حلمه صلى الله عليه وآله وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يحصر، ويكفي دليلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾"القلم 4".

قوله: (إلا أن يجاهد في سبيل الله) فيكون الضرب حينئذ في طاعة الله ومرضاته.

قوله: (إلا أن ينتهك شيء من محارم الله) وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لكن إذا انتهك شيء من محارم الله انتصر لله تعالى، وانتقم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقماً لله لا لنفسه، وفي الحديث استحباب الرفق واللين والحث على العفو والحلم، واحتمال الأذى وترك ضرب الزوجة والخادم وإن كان مباحاً، والانتصار لدين الله تعالى، وعدم التساهل مع من ارتكب محرماً ونحوه، وأنه

ينبغي للأئمة والقضاة والولاة أن يتخلقوا بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقموا لأنفسهم ولا يتساهلوا في حق الله تعالى، إلى غير ذلك مما بينه العلماء. والله أعلم.

33. حديث: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس قال: (ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) رواه البخاري ومسلم.

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً قال: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا ـ نام نوم القيلولة ـ فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فاستيقظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟) قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب.

قوله: (ما مسست حريراً ولا ديباجاً)... إلخ، فيه دليل على لين مسه وطيب ريحه وعرقه، قال النووي قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يمس طيباً ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين. اهـ

وفي صحيح مسلم أيضاً من طريق آخر عن أنس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا شممت مسكة ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله: (دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عندنا)... إلخ، معناه ظاهر وله طريق آخر في الصحيح أيضاً، وللدارمي والبيهقي وأبي نعيم عن جابر قال (كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خصال لم يكن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عرقه أو عرفه -بفتح العين، أي: ريحه ـ ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له).

وأخرج أبو يعلى والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني زوجت ابنتي وأحب أن تعينني، قال (ما عندي شيء ولكن آتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة) فأتاه بهما فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة قال: (فخذها ومر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتتطيب به) فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، فسموا ببيت المتطيبين.

وروى عبدان في الصحابة والخطيب في المؤتلف من طريق أبي بكر بن عياش عن حبيب بن حدرة عن حريش ـ بفتح الحاء المهملة ـ قال: كنت مع أبي حين رجم النبي ماعزاً فلما أخذته الحجارة أرعدت فضمني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه، فسال علي من عرقه قال: مثل ريح المسك.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الأولى[1] -أي: الظهر ـ ثم خرج إلى أهله، خرجت معه فاستقبله ولدان ـ جمع وليد ـ أي: صبيان، فجعل يمسح خدي إحدهم واحداً

1- هذا أصل لما أعتاد أهل المغرب من إطلاق لفظ الأولي على الظهر.

واحداً قال: وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجهما من جُؤنة عطار.

والجؤنة ـ بضم الجيم وبالهمز ـ وعدمه: سليلة مستديرة يجعل العطار فيها ما عنده من الطيب.

وروى ابن الأعرابي في جزء القبل عن أسامة بن شريك قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أصحابه على رؤوسهم الطير، فجاء الأعراب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قام وقام الناس فجعلوا يقبلون يده، فأخذتها فوضعتها على وجهي، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج إسناده قوى.

وفي صحيح مسلم عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأُتِيت ـ بكسر التاء الأولي ـ فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نام في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعه أديم -بوزن عظيم- على الفراش ففتحت عتيدتها -بفتح العين- صندوق صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها- فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزِع -فاستيقظ- النبي فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟!) فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: (أصبت).

وفي هذا الحديث استحباب التبرك بآثاره صلى الله عليه وآله وسلم وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما. والله أعلم.

34. حديث: وجوب محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) رواه البخاري ومسلم.

قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده)... إلخ. قال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما، المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وشفقة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع صلى الله عليه وآله وسلم أصناف المحبة في محبته. اهـ.

وقال الخطابي: لم يرد بالحديث حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، فمعنى الحديث: لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك. اهـ.

وقال ابن بطال: معنى الحديث: أن من أستكمل الإيمان علم أن حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين، لأن به صلى الله عليه وآله وسلم استُنْقِذنا من النار وهدينا من الضلال. اهـ.

وقال القاضي عياض في شرح مسلم: ومن محبته صلى الله عليه وآله وسلم نصرة سنته[1]، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا

1- فالمقلدون الذين يقدمون أقوال أئمتهم على الحديث ويتمحلون في تأويل النصوص وتحريفها لتوافق مذهبهم، لا يحبون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن ادعوا محبته بلسانهم.

يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزلته على والد وولد ومحسن ومفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن. اهـ.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبي، فقال له النبي (الآن يا عمر)[1] رواه البخاري في كتاب الإيمان والنذور.

وروى ابن إسحاق في السيرة والبيهقي في الدلائل: أن امرأة من الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل أي: صغيرة.

وقال عليّ رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

قال سهل بن عبد الله التستري: من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وآله وسلم لا يذوق حلاوة سنته، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبُ إليه من نفسه... الحديث). اهـ.

1- أي: الآن تم إيمانك يا عمر.

وقال القرطبي: كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إيماناً صحيحاً لا يخلوا عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، إلا أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته صلى الله عليه وآله وسلم، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات. اهـ

وما أحسن قول ابن أبي المجد:

ألا يـــــا محــــب المصـــــطفي زد صـــــبابة

وضـــمخ لـــســـان الـــذكـــر مـــنك بطيـــبه

ولا تعبـــــــأنّ بـــــــالمبطلين فإنمـــــــا

علامـــــة حـــــب الله حـــــب حبيبـــــه

والكلام في محبته صلى الله عليه وآله وسلم بحر واسع نقتصر من جواهره على ما التقطناه، وما توفيقنا إلا بالله.

35. حديث: من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل النار

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) رواه مسلم في صحيحه.

قوله: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد)... إلخ، معناه واضح وفيه دليل على أمور:

أحدها: جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيدها وتثبيتها في ذهن السامع.

ثانيها: أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة، فلو فرض وجود شخص في بعض المجاهل لم تبلغه دعوة الإسلام يكون معذوراً على الصحيح المقرر في علم الأصول.

ثالثها: نسخ الملل كلها برسالته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة وإجماع الأمة فمنكره كافر بلا خلاف.

رابعها: أن الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم شرط أساسي في النجاة من النار، فكل من لم يؤمن به دخل النار خالداً فيها أبداً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾"آل عمران 85" وبهذا نطقت السنة المتواترة وانعقد عليه إجماع الأمة، فلا حظ ليهودي ولا نصراني في دخول الجنة أبداً، ومن شك في هذا فليس مسلماً وبالله التوفيق.

36. حديث: ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله

عن المقدام بن معدي كرب قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي بإسناد صحيح.

وفي رواية للبيهقي (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي) الحديث.

وفي مسند أبي يعلى عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (عسى أن يكذبني رجل منكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عني فيقول ما قال رسول الله هذا، دع هذا وهات ما في القرآن) وللحديث طرق.

قوله: (حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره) وروى أحمد عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (حرم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع والمُجثَّمة -بضم الميم وفتح الثاء المشددة-، كل حيوان يمسك ويجعل غرضاً للرمي حتى يموت والحمار الأنس) صححه الترمذي.

ولأحمد والترمذي بإسناد لا بأس به عن جابر قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعني يوم خيبر لحوم الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب ـ بكسر الميم وفتح اللام ـ من الطير، زاد في حديث العرباض بن سارية عند أحمد بإسناد لا بأس به (تحريم الخُلسة) وهي - بضم الميم وسكون اللام (الفريسة) - يستنفذها الرجل من الذئب أو السبع فتموت في يده قبل أن يذكيها، فبان بهذه الروايات ما أبهمته رواية حديث الترجمة.

قوله: (يُوشِكُ أَنْ يَقْعُدَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ على أَرِيكَتِهِ) أي: سريره، يحدث: بالبناء للمجهول، أي: يحدثه أحد بحديثي فيقول: (بيني وبينكم كتاب الله...)، هذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم،

وظهر مبتدعة ملحدة ينكرون الحديث النبوي عملاً واحتجاجاً، ويزعمون أن الحجة في القرآن خاصة، فإن ذكرت لهم قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾"الحشر 7" قالوا: يعني في القرآن لا في غيره، وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته في القرآن فقط، ومنهم من يحتج لهذا الرأي الفاسد بحديث (ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله) وهذا حديث مكذوب، قال الإمام الشافعي: ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول.

وقال يحي بن معين: هو حديث موضوع، وضعته الزنادقة، وقال عبد الرحمن بن مهدي: الزنادقة والخوارج وضعوا حديث (ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله) وقال البيهقي في المدخل: هذا حديث باطل لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن.

وقال الحافظ ابن عبد البر في كتاب العلم: هذه الألفاظ لا تصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وعارضه ابن حزم فقال: عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾"الحشر 7" ووجدنا فيه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾"آل عمران 31" ووجدنا فيه ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾"النساء 80" وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل، وبينت عللها في كتاب الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج في الأصول.

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول: اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وإنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه) أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وغير ذلك، مما لم يأت عليه الحصر. اهـ.

قلت: وقد انعقد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة المطهرة والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه، إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولمزوا السنة وناقليها وأعرضوا عنها، فتصدى الأئمة للرد عليهم، وبيان زيغهم وضلالهم، فللإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل، ذكره في الرسالة ونقله البيهقي في المدخل، وعلق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار، فزاده حسناً على حسن، وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاص في الرد عليهم، وفي كتاب العلم للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنى، ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه الكفاية.

وللحافظ السيوطي رسالة مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة وهي مطبوعة، ذكر أنه ألفها بسبب رافضي زنديق سمعه يقول: إن السنة لا يحتج بها، وإن الحجة في القرآن خاصة، وهي رسالة مفيدة قيمة.

وللقاضي عياض في الشفاء: فصل حسن في هذا المعنى وكذا في المواهب اللدنية وغيرها.

والمقصود: أن السنة أصل من أصول الدين، لا يتم الإسلام إلا بالأحكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ[1] وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾"النساء 65".

1- قال الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن دحيم في تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي عن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضي للمحق علي المبطل، فقال المقضي عليه: لا أرضى، فقال صاحبه ما تريد؟ قال: نذهب إلى أبي بكر الصديق، فذهبا إليه، فقال الذي قضى له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي عليه، فقال أبو بكر: أنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأبى صاحبه أن يرضى وقال: نأتي عمر بن الخطاب، فأتياه، فقال المقضي له: قد اختصمنا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لي عليه، فأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكر الصديق، فقال أنتما على ما قضى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أن يرضى، فسأله عمر فقال كذلك، فدخل عمر فخرج والسيف في يده فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.

وقال أيضاً: حدثنا الجوزجاني حدثنا أبو الأسود عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير قال: اختصم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلان فقضى لأحدهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (نعم انطلقوا إلى عمر) فانطلقا فلما أتيا عمر، فقال الذي قضى له: يا ابن الخطاب إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى له، وإن هذا قال ردنا إلى عمر، فردنا إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر للذي قضى عليه: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانك حتى أخرج فأقضي بينكم، فخرج مشتملاً على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله قتل عمر صاحبي ولولا ما أعجزته لقتلني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما كنت أظن أن عمر يجترئ على قتل مؤمن) فأنزل الله تعالى: ﴿فلا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾، فبرأ الله عمر من قتله.

ورواه ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من طريق وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان، فذكر القصة وفي آخرها: فأهدر دمه، ورويت من غير هذين الطريقين أيضاً.

وروى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال: أنه صحيح فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانياً؟! أرأيتني خارج من كنيسة؟! أرأيت في وسطي زنّاراً؟! أروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ولا أقول به؟!. اهـ.

وأقوال الأئمة في هذا كثيرة جداً.

قوله: وإن ما حرم[1] رسول الله مثل ما حرم الله، أي: في وجوب الاجتناب كما قال في الحديث الآخر (وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه).

وجاء في بعض الطرق بيان أن الذي قضى له يهودي، وإن الذي قضى عليه منافق اسمه: بشر، فإن قيل: ثبت في الصحيحين عن عروة بن الزبير عن أبيه أنه خاصم رجلاً من الأنصار، قد شهد بدرا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزبير (اسق ثم أرسل إلى جارك) فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال للزبير (اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك) فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة للأنصاري وله، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ فهذا الحديث ينافي ما تقدم.

قلنا: لا تنافي بينهما، لأن الزبير لم يجزم بأن الآية نزلت بسبب هذه الحادثة وعلى فرض وجود الجزم بذلك كما جاء صريحاً عن سعيد بن المسيب، عند أبي حاتم فيجوز تعدد أسباب لنزول الآية الواحدة، على أن ابن جرير الطبري اختار أن تكون الآية نزلت في المنافق واليهودي، ثم تتناول بعمومها قصة الزبير، قال ابن العربي في الأحكام: وهو الصحيح. اهـ.

1- لا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾"التحريم 1" **أن التحريم يطلق بمعنيين:**

أحدهما: منع الشيء شرعاً بحيث يأثم فاعله، وهذا هو المراد في الحديث، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما وجد الصحابة يوم خيبر يطبخون لحوم الحمر الأهلية، أمرهم بإهراق ما في القدور وأخبرهم أنها لا تحل لهم فصارت حراماً كتحريم الميتة المنصوصة في القرآن.

قوله: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) في رواية أخرى (ومثليه معه) بالتثنية، أي: أوتيت مثل القرآن من السنة كما تقدم في كلام الشوكاني، وذلك أن الوحي نوعان: متلو: هو القرآن الكريم، وغير متلو وهو الحديث الشريف، فطاعتهما واجبة على كل مسلم.

قوله: (يبلغه الحديث عني فيقول ما قال الرسول هذا)... إلخ، فيه دليل على أن نفي ورود الحديث لا يكون عذراً في ترك العمل به، بل يعد تكذيباً له إلا إن دلت القواعد الحديثية على عدم صحته، فحينئذ يكون المرء في حل من تركه.

ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم ـ وفيهم كثير من الأزهريين ـ من تخلصهم من السنه وفرارهم من العمل بها، وحض غيرهم على إلغائها بقولهم: هذا حديث غير صحيح، أو يخالف العقل، أي: عقلهم القاصر، أو يخالف العلم الحديث، أو هذا آحاد والمطلوب التواتر، أو طرق الحديث مضطربة أو هذا من الإسرائيليات، ونحو هذا مع الأعذار الواهية التي يتخذونها ذريعة إلى رد السنة النبوية، مع أن أهل الأزهر(1) لا يعرفون الحديث ولا يميزون بين صحيحه وسقيمه، ولا بين مقبوله ومردوده، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به، ولو اطلعت على مذكراتهم في المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام، لرأيت فيها من فضائح الجهل ما

والثاني: الامتناع من الشيء مع إباحته لسبب غير شرعي، وهذا هو المراد في الآية فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم امتنع من قربان مارية ليرضي زوجته حفصة، فعاتبة الله على أن منع نفسه مما أباحه الله له ابتغاء مرضاة أزواجه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾"القصص 12" فإن موسى عليه السلام كان رضيعاً لا يتعلق به تكليف لكنه امتنع من قبول المراضع، حتى جاءت أمة فالتقم ثديها.

1 كذا بالمخطوط، ويبدوا أن فيه سقطا تقديره: ومع أن بعضا من أهل الأزهر... الناشر.

يضحك الثكلى ويسلي الحزين، ولهذا، أكثر فيهم من يبغض الحديث الشريف ويناصبه العداء، ويدعوا إلى إهماله وعدم الاهتمام به، ويصرح بذلك في غير خجل ولا استحياء، ولا عجب في ذلك فقديماً قيل "من جهل شيئاً عاداه" وإنما العجب أن يتعيشوا على حساب الدين في وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين، إن هذا لهو منتهى العجب! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

37. حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس ﴿إِنّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾"لقمان 34") رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، إنه ليكون منه الشيء قد كنت نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.

قوله: (أوتيت مفاتيح كل شيء) أي: من العلوم والمعارف وسائر المغيبات، قال القاضي عياض في الشفاء في فصل ما أطلع عليه من الغيوب ما نصه: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. اهـ.

ثم أورد جملة منها فليرجع.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته، جمعها شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله في كتاب مطابقة الاختراعات العصرية بما أخبر به سيد البرية.

قوله: إلا الخمس ﴿إِنّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾"لقمان 34"، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في الغد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يدري أحد متى يجيء المطر إلا الله) ومقتضى هذا أنه لم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يعلم الخمس، وإليه ذهب الجمهور، ولكن قال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى: ذهب بعضهم إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتي علم الخمس أيضاً وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك. انتهى، وبه جزم كثير من المتأخرين.

وللإمام منصور البغدادي في هذا الموضوع كتاب اسمه إقامة شواهد المنقول والمعقول على إحاطة علم نبينا الرسول وسأل الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي العلامة المحدث عبد الملك بن محمد التجموعتي قاضي سجلماسة عن هذه المسألة فأجابه: برسالة خاصة سماها ملاك الطلب

وجواب أستاذ حلب، جزم فيها بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم الخمس.

وللشيخ أحمد رضا على خان البريلوي الهندي في هذا الموضوع ثلاث رسائل: مالىء الجيب بعلوم الغيب واللؤلؤ المكنون في علم البشير ما كان وما يكون و إنباء المصطفي بما أسر وأخفى.

وقال العلامة أبو عبد الله محمد الحبيب بن عبد القادر السجلماسي الحسني في شرح منظومة الأسماء الحسنى للهلالي: يجب علينا أن نعتقد أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات، للحديث الصحيح (أوتيت علم كل شيء وتجلى لي كل شيء) وما ورد مما يخالفه، منسوخ بهذا، وبه تظهر مزيته وفضيلته العلمية على سائر الأنبياء، بعد اشتراكهم في علم الغيب المستثنى لهم في آية ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾"الجن 26-27" قال فيهم بعض المفسرين: يريد أو ولي، لأن الولي وارث العلم من النبوة. اهـ

وفي شرح أنموذج اللبيب للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عمر الروضي المالكي ما نصه: الصحيح كما قاله المحققون أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتي علم كل شيء حتى الخمسة وحتى عالم الروح وأمر بكتم ذلك. اهـ

ونحوه في شرح جوهرة اللقاني لمؤلفها، وشرح الأربعين النووية للشبرخيتي وغيرهما، وفي فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمناوي في الكلام على حديث (خمس لا يعلمهم إلا الله)... إلخ، ما نصه: خمس لا يعلمهن إلا الله على وجه الإحاطة والشمول، كلياً وجزئياً، فلا ينافي فيه إطلاع الله بعض خواصه على

كثير من المغيبات حتى من هذه الخمس، لأنها جزئيات معدودة، وإن كان للمعتزلة في ذلك مكابرة. اهـ

قلت: والذي أرجحه وأميل إليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج من الدنيا حتى عمله الله هذه الخمس لأنه لم يزل يترقى في العلوم والمعارف كل يوم، بل كل لحظة وعموم الأحاديث يشهد بذلك، منها حديث البخاري عن أسماء بنت أبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (ما من شيء لم أكن أريته قبل إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار) وهذه الخطبة كانت بالمدنية.

ومنها حديث سمرة بن جندب قال كسفت الشمس، فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وأخراكم) حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

ولا ينافيه قوله في حديث الترجمة (إلا الخمس) لأنه كان قبل أن يعلمها، ثم علمها بعد ذلك، وهذا كما نهى عن تفضيله على موسى ويونس وإبراهيم عليهم السلام، ثم أخبر أنه أفضل الأنبياء، ورد على من دعاه سيداً بأن السيد الله، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم، وأمره الله تعالى: في القرآن أن يقول للكفار ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾"ص 69" ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصامهم.

ففي حديث ابن عباس ومعاذ وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (رأيت ربي في أحسن صورة فقال يا محمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب، قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها في صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت) وذكر الحديث

وهو في سنن الترمذي ومسند أحمد وغيرهما بطرق متعددة، وهو حديث صحيح[1]، وقد تكلمت عليه في قمع الأشرار عن جريمة الانتحار مع الأربعين الغمارية وشرحه الحافظ ابن رجب في جزء مطبوع اسمه اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى وهذا الحديث أحد الأدلة على علمه بالخمس أيضاً، لأن قوله: (فتجلى لي كل شيء) عام بل هو أقوى صيغ العموم، كما تقرر في الأصول.

قوله في حديث حذيفة: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة) يعني من الفتن والحوادث وغيرهما إلا ذكره، الحديث.

نحوه قول عمر: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الطبراني.

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً، رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح، وكذلك قال أبو الدرداء، رواه أبو يعلى والطبراني وغيرهما والله أعلم.

1- نقل الترمذي عن البخاري أنه قال حديث صحيح.

38. حديث: إهدار دم من سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

عن ابن عباس قال: إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكثر الوقيعة في رسول صلى الله عليه وآله وسلم وتشتمه فقتلها الأعمى، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أشهد أن دمها هدر) رواه أبو داود والنسائي والبيهقي وهذا لفظه، وفي سنن أبي داود والبيهقي، واللفظ للأول عن أبي برزة قال: (كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيظ على رجل، فاشتد عليه فقلت: ائذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه، قال: فأذهبت كلمتي غضبه فقام فدخل، فأرسل إليّ وقال: ما الذي قلت آنفاً؟! قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلاً لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: لا والله ما كانت لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) صححه الحاكم، وابن تيمية.

قوله: (إن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكثر الوقيعة فيه... إلخ) وفي سنن أبي داود وسنن ابن بطة عن الشعبي عن علي عليه السلام أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت، فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمها، وجاء في رواية: أن الرجل كان أعمى.

قال ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول وهذا الحديث نص في جواز قتلها، يعنى: اليهودية، لأجل شتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودليل على قتل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبا بطريق الأولى. اهـ.

وقال أبو بكر ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد واسحق وهو من مذهب الشافعي. اهـ

وقال القاضي عياض في الشفاء: اعلم أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبة أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب، يقتل كما نبينه، ولا نستثني فصلاً من فصول هذا الباب، وعلى هذا المقصد، ولا نمتري فيه، تصريحاً كان أو تلويحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمن مضره له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام، وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيّره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمطه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى هلم جرا. انتهى.

وقال الإمام محمد بن سحنون: أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمنتقض له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. انتهى.

وقال الإمام ابن عتاب: الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل فقتله واجب. انتهى.

وسمع رجل قوماً يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: تريدون تعرفوا صفته؟ هي في صفة هذا

المار في خلقه ولحيته، فأفتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقتله وعدم قبول توبته.

وأفتى الإمام أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحمال يتيم أبي طالب أنه يقتل، وفتاوى العلماء ونصوصها في هذا كثيرة[1].

قوله: (كنت عند أبي بكر فتغيظ على رجل)... إلخ، لهذا الأثر طرق عند النسائي وغيره، وروى قاسم بن أصبغ في مصنفه، ومن طريقة ابن حزم عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، قلت: ألا أقتله؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هذا إلا لمن شتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ورويا أيضاً عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر: إني وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البينة، فهممت بقتله أو قطع يده أو قطع لسانه أو رجليه، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز سلام عليك، أما بعد:

1- من ذلك ما حصل بتونس سنه 784هـ وهو أن رجلاً قال لآخر أنا عدوك وعدو نبيك، فعقد له مجلس فأفتى بعض المالكية بأنه مرتد وأخذ كفره من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾"البقرة 98" وأفتى بعضهم بأن كفره كفر تنقيص، فلا يستتاب، وأخذ ذلك مما في الشفاء من أن امرأة سبَّت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (من يكفيني عداوتها) فقتلت، ومن كون خالد رضي الله عنه قتل من قال له عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صاحبكم، ومن إفتاء ابن عتاب بقتل من قال: إن سألت أو جهلت فقد سأل وجهل نبيك، واعترضه بعضهم بأن الحديث نص في أنّ كل ساب عدو، ولا شك فيه، وإنما الكلام في عكس هذه القضية، وهي لا تنعكس كنفسها، لكن (تنعكس إلى جزئية سالبة وهي بعض العدو ليس بساب) بل قوله أنا عدوك وعدو نبيك، ربما أشعر بترفيع المقول له ذلك، لأنا نجد الوضعاء يجعلون لنفسهم منزلة بذلك، يقول الواحد منهم: أنا عدو الأمير، والأمير عدو لي، وقصده به رفع نفسه لأنه في رتبة من يعادي الأمير، وبأن إفتاء ابن عتاب إنا هو لأن ما ذكر في قضيته صريح في التنقيص، فالتحقيق أن قائل ما مر مرتد لا منقص. اهـ والمرتد عند المالكية يستتاب، أما المنقص فإنه يقتل بلا استتابة، قال العلامة ابن حجر الهيثمي الشافعي: أما على قواعدنا فالذي يظهر أنه مرتد.

والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأقدته منك، فإذا جاءك كتابي هذا فأخرج به إلى الكناسة، فسبه كالذي سبني أو أعف عنه فإن ذلك أحب إلي، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحداً من الناس إلا رجلاً سبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومن طريقه ابن حزم عن علي بن المديني قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقتل؟ قلت: نعم وذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من يكفيني عدواً لي) فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقتله.

فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسنداً، هو عن رجل!.

فقلت يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعه وهو مشهور معروف، قال: فأمر لي بألف دينار.

وقال ابن حزم: هذا حديث مسند صحيح، وقد رواه علي بن المديني عن عبد الرزاق كما ذكره، ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدم من الآثار ما نصه: فصح بما ذكرناه أن كل من سبّ الله تعالى أو استهزاء به أو سبّ ملكاً من الملائكة أو استهزأ به أو سبّ نبياً من الأنبياء أو استهزاء به، أو سبّ آية من آيات الله تعالى: أو استهزاء بها -والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى- فهو بذلك كافر مرتد، له حكم المرتد، وبهذا نقول. اهـ.

قلت: يدخل في هذا ما بلغني عن بعض السبكيين ممن أنضم أخيراً إلى القصيمي ـ قصمه الله ـ أنه قال في مجلس يضم كثيراً من الناس: إن القرآن ناقص، لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة، وإنه كان الواجب أن يقول: وإن لكم في اليورانيوم لعبرة بدل قوله ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾"النحل 66" مثلاً وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله.

تنبيـــــــه

كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبياً من الأنبياء أو ملكاً من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل في السوء فقد قيل في النبي، وإن كذبت فقد كذب الأنبياء، أو صبرت كصبر أيوب، أو لا أفعل كذا ولو نزل علي جبريل، أو أنا أسلم من ألسنة الناس، ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله؟، أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاورتهم ومخاصماتهم.

قال القاضي عياض في الشفاء بعد أن ذكر كثيراً من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: فحق هذا -إن دريء عنه القتل- الأدب والسجن، وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به، ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به. اهـ، ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهما، فليراجع كلامه، فإنه أجاد فيه غاية الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء ألفها بسبب حادثة وقعت من القبيل المذكور، وهي مطبوعة في كتابه الحاوي للفتاوي.

ومن قلة الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما سمعته من عالم أزهري ـ وهو في الواقع جاهل ـ سمعته يقول في مجلس خليط: إن محمداً أخطأ وسجل الله عليه الخطأ في القرآن أعادها مرتين أو ثلاثاً، فأخذ بعض الحاضرين حماسة الإيمان ورد عليه بأن هذا لا يليق، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخطئ، فأصر على مقالته وأعادها، وقال: إنه يأسف على تصريحه هذا ولكن دعاه إليه التعليم.

قلت: ما كان أحوجه أن يأسف على قلة أدبه وكثرة جهله وفرط حقده وتعصبه، ومقام النبوة أعلى وأجل عن مثل هذا التعبير الشنيع.

قال ابن السبكي في جمع الجوامع: والصواب أن اجتهاده صلى الله عليه وآله وسلم لا يخطئ قال شارحه الجلال المحلى: تنزيهاً لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد، وقيل: قد يخطئ ولكن ينبه عليه سريعاً، لما تقدم في الآيتين ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾"الأنفال 67"، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾"التوبة 43"[1]، ولبشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب. اهـ

أي: ليفيد أن مقاله غير صواب، كما قال العلامة العطار في حاشيته على جمع الجوامع. والله أعلم.

1- بينت في كتاب فضائل النبي في القرآن أن الآيتين لا تقتضيان نسبة الخطأ إليه صلى الله عليه وآله وسلم فليراجع.

39. حديث: إني لأراكم من وراء ظهري

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (هل ترون قبلتي ههنا؟ فو الله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري) رواه البخاري ومسلم.

ولمسلم عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فإني أراكم من أمامي ومن خلفي) وللحديث طرق.

قوله: (هل ترون قبلتي هاهنا)... إلخ، في رواية لأبي هريرة في الصحيح قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً ثم انصرف فقال: (يا فلان ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي).

وفي حديث أنس في الصحيح أيضاً (أقيموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعدي - أو من ظهري - إذا ركعتم وإذا سجدتم).

قال العلماء في معنى هذه الأحاديث: إن الله تعالى خلق له صلى الله عليه وآله وسلم إدراكاً خلف رأسه يبصر به من ورائه وقد انخرقت العادة له صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به، ونقل القاضي عياض عن الإمام أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: أن هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة... اهـ من شرح النووي على مسلم.

ولم يثبت في شيء من الأحاديث أن هذه الرؤية كانت بعينين صغيرتين بين كتفته كسم الخياط، لا تحجبهما الثياب كما ذكره الزاهدي بختيار محب بن

محمود، شارح القدوري في رسالته الناصرية، ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صح نقله، وإلا قصر في إثبات كونه معجزة، كما قال القسطلاني: حملها على الإدراك بغير آله كما تقدم، وأما أراده ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إني لا أعلم ما خلف جداري هذا) فلا أصل له كما نقل الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر.

ويؤخذ من روايات حديث الترجمة:

الأمر بإحسان الصلاة والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود، وجواز الحلف بالله لغير ضرورة، ولكن المستحب تركه، إلا لحاجة كتأكيد أمر وتفخيمه أو تمكينه من النفوس كما هنا، فإنه لما كانت الرؤية من الخلف أمراً خارقاً للعادة أكدها باليمين، وجاء في إحدى روايات أنس في الصحيح (أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني في الركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف عني فإني أراكم أمامي ومن خلفي) فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سبق الإمام بهذه الأشياء، فمن فعل ذلك أثم، وصحت صلاته عند الجمهور، وعن ابن عمر تبطل صلاته، وهو مذهب الظاهرية، ورواية عن الإمام أحمد لأن النهي يقتضي الفساد.

تنبيـــــــه

روي البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء، وروى البيهقي وابن عدي عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء، فهي معجزة أخرى تتعلق ببصره الشريف، وتضعيف ابن دحية لهذين الحديثين لا يضر لأنهما مؤيدان بما ورد في

معناهما مما هو خارق للعادة، فقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين، وصح رفع بيت المقدس حتى صار ينظر إليه وهو يخبر عنه صبيحة ليلة الإسراء، ورؤيته الجنة والنار وهو في الصلاة، إلى غير ذلك.

وأيضاً فإن شقيقنا الحافظ أبا الفيض رحمه الله قال: أخبرنا أبو البركات عوض محمد العفري، أنا[1]، إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، أنا صالح بن محمد العمري، أنا محمد بن سنة، أنا الشريف الولاتي، أنا الشهاب أحمد المقري، أنا عمي مفتي تلمسان سعيد بن أحمد المقري، أنا أبو عبد الله محمد بن محمد التنسي التلمساني، أنا والدي محمد بن عبد الله التنسى، أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد عن أبيه عن جده الخطيب قال: أنا أبو المجد أحمد بن أبي عبد الله محمد بن القاضي أبي الفضل عياض عن أبيه عن جده الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر عن أبيها حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن قتادة عن يحي بن وثاب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما تجلى الله عز وجل لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ).

قال القاضي عياض: ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بما ذكرناه من هذا الباب - يعني رؤيته في الظلمات وغير ذلك - بعد

1- أنا مختصرة من أخبرنا، وثنا أو نا مختصرة من حدثنا، فليعلم ذلك.

الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى. اهـ وهذا الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير.

40. حديث: لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي

عن جابر قال: أتي عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: (أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي) رواه أحمد بإسناد حسن وابن حبان بإسناد صحيح، ورواه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن أيضاً، وله مع هذا طرق.

قوله: (أمتهوكون أنتم) أي: متحيرون، كما قال الحسن، والتهوك: التحير.

قوله: (كما تهوكت اليهود والنصارى) وذلك لأن كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان، فتحيروا في دينهم واختلفوا فيه، ولكن ديننا محفوظ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"الحجر 9" ولفظ الذكر في الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث، كما بينه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزم في كتاب الأحكام.

قوله: (لقد جئتكم بها) أي: الآية الشريفة (بيضاء نقية) كنَّى بياضها ونقائها عن يسرها وسماحة تعاليمها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأدب.

قوله: (ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي) لأن الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهداً أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾"آل عمران 81" فهو صلى الله عليه وآله وسلم نبي الأنبياء وخاتمهم.

والقاديانية ـ لعنهم الله ـ يروون هذا بلفظ [ولو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي] ليستدلوا على أن عيسى مات، وأنه لا ينزل، والحديث باللفظ باطل لا أصل له، بل هومن جملة أكاذيبهم الكثيرة أخزاهم الله.

وللطبري في التفسير وأبي داود في المراسيل من طرق يحي ابن جعيدة: أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتبوا فيها ببعض ما تقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: (كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم) فنزلت ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾"العنكبوت 51".

والحديث يقتضي النهي عن الأخذ من كتب الإسرائيليات، وذلك فيما يتعلق بالأمور الدينية من أصول وفروع، أما ما يتعلق بالمواعظ والآداب وأخبار الأوائل فلا بأس بذلك، ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح، وقد كان جماعة من الصحابة يحدثون عن أهل الكتاب كعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة[1]، وكان عمر يقول لكعب الأحبار: خوفنا يا كعب،

1- بل قال إبراهيم بن أبي يحي: أنا معاذ بن عبد الرحمن عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه: أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني قرأت القرآن والتوراة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أقراء هذا ليلة وهذا ليلة)، قال الذهبي في تذكرة الحافظ: هذا إن صح ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها. اهـ

قلت: إبراهيم ابن أبي يحي ضعيف جدا، كذبه جماعة من الحفاظ وكان معتزلياً جهمياً قدرياً، وقد أطال الذهبي في ترجمته في الميزان، وهو مع ضعفه حافظ كبير، وله موطأ أكبر من موطأ مالك بكثير، وقد روى عنه الشافعي ووثقه، وقال الربيع: إذا قال الشافعي: حدثني من لا أتهم، أراد إبراهيم بن أبي يحي.

وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسمع من كعب أيضاً ويحدث عنه أما تحديث التابعين عن أهل الكتاب فكثير، وحصل بين الحافظ السخاوي والبرهان البقاعي نزاع في جواز النقل من كتب الأناجيل ونحوها، وألف كل منهما في ذلك بحسب رأيه، وأشار السخاوي إلى شيء من ذلك في كتاب الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ[1]وهو مطبوع. والله أعلم.

41. حديث: ليهبطن ابن مريم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ليهبطن ابن مريم حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه) يقول أبو هريرة: أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام، رواه الحاكم وصححه، وسلمه الذهبي.

قوله: (ليهبطن ابن مريم) أي: من السماء على منارة بيضاء شرقي دمشق بين ملكين، فيفك حصار الدجال عن فلسطين ويقتله، ويلقي الله الرعب في قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم، ويكون عيسى إذا ذاك حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً يحكم بالشريعة الإسلامية ويحي ما اندرس منها، ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية، ويكون حكمه بالكتاب والسنة، ولا يقلد أحداً من المذاهب خلافاً لما زعم بعض متهوسي الحنفية: أنه يكون على مذهبهم، بل المذاهب في وقته تبطل.

1- وذكر فيه أنه ألف كتاباً أسماه الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل لكن لم يشر إلى ما حصل بينه وبين البقاعي.

قولة: (وليسلكن فجاً) ـ بفتح الفاء ـ طريقاً واسعاً أو اسم موضع في طريق مكة حاجا أو معتمراً، وليأتين قبري حتى يسلم علي تحقيقاً لتبعيته لي، وإتباعه لشريعتي، ولأردن عليه السلام، واللام في (ليهبطن وليسلكن وليأتين ولأردن) تدل على قسم مقدر، أي: والله ليهبطن، والله ليسلكن، والله ليأتين، والله لأردن، فهذه الأفعال مؤكدة بشيئين القسم في أولها، ونون التوكيد المشددة في آخرها، وذلك غاية ما يطلب في التوكيد كما لا يخف.

ويؤخذ من الحديث أمور:

الأول: فضيلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكون عيسى عليه الصلاة والسلام وهو رسول كريم من أولي العزم، ينزل تابعاً له وملتزماً لشريعته، قال العلماء: والحكمة في تخصيص نزوله: الرد على اليهود حيث زعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وكذبوا في زعمهم ذلك.

الثاني: إثبات نزول عيسى عليه السلام، وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما نص عليه الحفاظ منهم: ابن جرير الطبري، وأبو الحسن الآبري، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر العسقلاني، وغيرهم[1] وجهل الشيخ محمد عبده هذا لكونه لا يعرف السنة، فادعى أن

1- وبيان ذلك: أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة، وحذيفة بن أسيد، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو، وجابر، ومجمع بن جارية، وعثمان بن أبي العاص، وواثلة بن الأسقع، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعائشة، وأنس، وغيرهم من الصحابة، ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعياً منهم: سعيد بن المسيب، وسعيد بن ميناء، وعطاء بن ميناء، وجبير بن نفير، ويعقوب بن عاصم، وأبو الزبير، وأبو نضرة، ومؤثر بن عفازة، وربعي بن حراش، والحسن البصرى، وطاووس، وعلقمه، وأبو قلابة، وأبو صالح.

ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين أيضاً منهم: الزهري، وقتادة، والمقبري، وهشام بن عروة، وسليم بن حيان، وفرات القزاز، وعلي بن زيد، وابن جريج، وأبو حازم الأشجعي، وأيوب السختياني، وسعيد بن خثيم.

حديث نزول عيسي آحاد وأنكره بناء على ذلك حسبما نقله عنه تلميذه في تفسير المنار، وقلده مبتدعة الأزهر ومن على شاكلتهم مثل: المراغي وشلتوت وعبد الوهاب النجار، وقد ألفت كتابا سميته إقامة البرهان على نزول عيسي عليه السلام آخر الزمان فضحت به جهل شلتوت في فتوى له نشرها بمجلة الرسالة، وافق فيها القاديانيين الكفار، فلما رآه ولج في العناد أردفته بكتاب آخر أسميته إرغام المبتدع الجهول بإتباع سنة الرسول.

الثالث: استحباب إتيان قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزيارته والسلام عليه، وهذا مما لا خلاف فيه، قال القاضي عياض، وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. اهـ

بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكاني في نيل الأوطار، والذي صرح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي.

ورواه عن هؤلاء نحو خمسه وثلاثون شخصاً منهم: سفيان بن عينية، والليث إمام أهل مصر، والأوزاعي إمام أهل الشام، وأبو داود الطيالسي صاحب المسند، وشعبة أمير المؤمنين في الحديث، ومعمر صاحب الجامع، ويحي بن جابر الطائي قاضي حمص، وعاصم أحد أئمة القراء، وأبو جعفر المنصور أمير المؤمنين.

ورواه عن هؤلاء خلق كثير يبلغون نحو أربعين شخصاً منهم: عبد الرازق صاحب المصنف، وعلي بن المديني الإمام العلم شيخ البخاري، وقتيبة بن سعيد، وروح، ويزيد بن هارون، وبشر بن معاذ، ومعاذ العنبري، وغندر، وحجاج بن الشاعر، ومحمد بن بشار وهؤلاء كلهم أئمة مشاهير.

ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الكتب المعتبرة في الحديث، ودونوه في كتبهم مثل: أحمد والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، والطحاوي، والطبراني، وغيرهم ممن لا يكادون يحصون، فهذا تواتر على جميع الاصطلاحات المقررة في علم الأصول، ولكن أنى لمحمد عبده ومقلديه أن يعرفوا هذا وهم أبعد الناس عن علم السنة وأنواعها، وليتهم إذا جهلوا سكتوا فقد كان السكوت أستر لحالهم، ولكن قاتل الله حب الظهور، فإنه قاصم للظهور، كما قال الصوفية.

قال الحافظ عبد الحق الأشبيلي المالكي في كتاب تهذيب الطالب يريد أنها واجبة وجوب السنن المؤكدة. اهـ

وقالت الحنفية: أنها قريبة من الواجبات حكاه الشوكاني أيضاً وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة على استحبابها.

وشد بلال المؤذن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بإسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادي تضعيفه تعصباً لرأي ابن تيمية الذي خالف الإجماع بإنكاره مشروعية الزيارة الشريفة، وزعم أن السفر إليها معصية، لا تقتصر فيه الصلاة، ورد عليه العلماء قوله هذا وبدَّعوه، وأفرد التقي السبكي في الرد عليه كتاباً خاصاً سماه شفاء السقام بزيارة خير الأنام وهو مطبوع، وليس لابن تيمية حجة فيما زعم إلا حديث الصحيحين (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) لكن القصد في الحديث إضافي باعتبار المساجد لا حقيقي، بدليل ما ثبت بإسناد حسن، كما قال الحافظ (لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)[1]، فالزيارة وغيرها خارجة

1- رواه الإمام أحمد في المسند عن شهر بن حوشب، قال: سمعت أبا سعيد الخدري ـ وذكر عنده صلاة في الطور ـ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا ينبغي للمطي)... إلخ. وحسنه الحافظ الهيثمي أيضاً في كتاب مجمع الزوائد وهو كما ترى صريح في أن النهي عن شد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لشيء آخر، لأن المساجد متماثلة لا فضل فيها لمسجد على آخر، إلا المساجد الثلاثة، ويؤيده ما رواه أحمد أيضاً بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال: لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو آت من الطور فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الطور صليت فيه، قال: لو أدركتك قبل أن ترحل ما رحلت إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) وروى الطبراني عن الأرقم ـ وكان بدرياً ـ قال: جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأودعه، وأوردت الخروج إلى بيت

عن النهي كما تري والأحاديث يفسر بعضها بعضاً والجمع بينها واجب، وإلغاء أحدها بغير دليل حرام كما نبهنا عليه فيما مر، وانظر الشفاء للقاضي عياض وشروحه، والمواهب الدنية وشرحها، ونيل الأوطار للشوكاني وغيرها.

تنبيه

قال العلامة ابن الحاج في المدخل: من لم يقدر له زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بجسمه فلينوِها كل وقت بقلبه، وليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه مستشفع به إلى من مَنَّ به عليه. اهـ.

وهذه زيارة روحية حضورية لا ينالها إلا من له مزيد تعلق واختصاص بالجناب النبوي الشريف، حققنا الله بهذا المقام بمنه وفضله.

الرابع: أنه صلى الله عليه وآله وسلم حي في قبرة الشريف، وقدمنا أن هذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وقطعنا على الوهابية طريق الزيغ والابتداع، فإن قيل: قد قال الله تعالى: خطاباً لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾"الزمر 30" وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾"الأنبياء 34" قلنا: وقد قال تعالى: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾"البقرة 154" وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾"آل عمران 169" والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع الله له بين درجتي النبوة والشهادة، فإنه مات

المقدس، فقال لي: (أين تريد؟) قلت: أريد بيت المقدس، قال (وما يخرجك إليه؟ أو في تجارة؟) قلت: لا ولكني أصلي فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (صلاة هاهنا - يعني في مكة - خير من ألف صلاة ثم) قال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات، ورواه أحمد أيضاً بإسناد فيه يحي بن عمران، قال أبو حاتم: مجهول، ووثقه ابن حبان، وهذا حديث يفيد أن السفر بغرض غير الصلاة كالتجارة غير محظور.

شهيداً من أثر أكلة خيبر، كما جاء في الصحيح، وأما حديث أبي هريرة (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله إليّ روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أحمد وأبو داود فهو مع كونه ليس في قوة الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء مجاب عنه بثلاثة عشر جواباً، سردها الحافظ السيوطي في كتاب إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء وهو مطبوع ضمن كتاب الحاوي للفتاوي.

بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث يدل على دوام حياته بطريق بليغ كما بينته في كتاب الرد المحكم المتين مع ذكر بعض الأجوبة للبيهقي والسبكي فليراجع.

الخامس: يؤخذ من قول أبي هريرة: إن رأيتموه... إلخ، ما كان عليه الصحابة من قوة الإيمان وشدة التصديق بما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولهم في هذا الباب آثار وأحوال تزيد في إيمان سامعها، وتقوي يقينه، وبذلك فازوا وربحوا وحازوا العز والتمكين في الدنيا مع ما أدخر لهم من عظيم المثوبة في الآخرة.

رضي الله عنهم وأرضاهم، وحشرنا في زمرتهم تحت لواء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله رب العالمين.

42. حديث: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس

عن أبي هريرة قال: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس كان رَبعة وهو إلى الطول أقرب بعيد ما بين المنكبين أسيل الخدين شديد سواد الشعر أكحل العينين أهدب إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة وإذا ضحك يتلألأ في الجدر لم أر قبله ولا بعده مثله) رواه البزار والبيهقي.

ولابن سعد وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي هريرة قال: (ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشية منه كأن الأرض تطوى له إنا لنجهد وإنه غير مكترث).

قوله: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الناس) أي: خَلقاً ـ بفتح الخاء ـ وخُلقاً ـ بضمها ـ وفي حديث البراء في صحيح البخاري: (كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلقاً) ـ أي: بفتح الخاء ـ وقيل: بضمها.

قوله: (كان رَبعة) اتفقت الروايات على ذلك في الصحيحين وغيرهما، والربعة ـ بفتح الراء وسكون الموحدة ـ الوسط بين الطول والقصر، وكذلك جاء مفسراً في حديث أنس والبراء وغيرهما.

قوله: (وهو إلى الطول أقرب) أي: يقرب من الطول قليلاً، ولكن ليس بالطويل البائن كما سيأتي.

قوله: (بعيد ما بين المنكبين) أي: عريض أعلى الظهر، زاد في حديث لأبي هريرة أيضاً عند أبي سعد: رحب الصدر، أي: واسعة.

قوله: (أسيل الخدين) بفتح الهمزة وكسر السين أي لين الخدين مع طول فيهما.

قوله: (أهدب) أي: طويل الأشفار.

قوله: (إذا وطىء بقدمة وطىء بكلها ليس له أخمص) الأخمص: ما دخل من باطن القدم، فلم يصب الأرض، والمعنى: أن في قدمه الشريفة خمصاً يسيراً، بحيث لم يرتفع عن الأرض جداً، ولم يستوِ أسفل القدم، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأعرابي: وبهذا يجمع بين روايات من أثبت الأخمص ومن

نفاها، فمن أثبت أراد الخموصة اليسيرة المعتدلة، ومن نفي أراد الخموصة الشديدة.

قوله: (إذا وضع ردائه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة) حديث محرش الكعبي قال: اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجعرانة ليلاً فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، رواه أحمد والبيهقي، وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي والبيهقي: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض، كأنما صيغ من فضة ومعني هذه الروايات ظاهر.

قوله: (وإذا ضحك يتلألأ في الجدر) أي: يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس على الحيطان، كما ينعكس نور الشمس في المرآة، ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله اسم كتابه بوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة جمع فيه الأحاديث التي ورد فيها أنه صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، وهو مطبوع.

وفي صحيح البخاري عن كعب بن مالك قال: كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، وفيه أيضاً عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها مسروراً تبرق أسارير وجهه، ووقع في حديث جبير بن مطعم عند الطبراني: التفت إلينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه مثل شقة القمر.

قوله: لم أر قبله ولا بعده مثله، إذا ليس في الناس من يماثله صلى الله عليه وآله وسلم، **فهو كما قال الإمام البوصيري:**

مــنزه عــن شريــك في محاســنه فجوهر الحسن فيه غـير منقسـم

وقال آخر:

وأجمل منك لم تـر قـط عيـني　　وأكـمل منك لـم تـلد النسـاء

خلقـت مبرئـاً مـن كل عيـب　　كأنــك خلقــت كمــا تشــاء

رواه البزار والبيهقي، ورواه أيضاً الذهلي في الزهريات، ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه وغيرهما، وإسناد الحديث حسن. والله تعالى أعلم.

قوله: في الرواية الثانية: كأن الشمس تجري في وجهه، قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه عكس التشبيه للمبالغة، قال: ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقراً ومكاناً للشمس، وفي تاريخ يعقوب بن سفيان من طريق يونس بن أبي يعفور عن أبي إسحاق السبيعي عن امرأة من همدان قالت: حججت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت لها شبهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وروى الدارمي والطبراني وأبو نعيم عن أبي عبيده، قال: قلت للربيع ـ بضم الراء وكسر الياء المشددة ـ بنت معوذ ـ بضم الميم وكسر الواو المشددة ـ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة، وسئل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر، رواه البخاري، وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة: أن رجلاً قال له: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل السيف؟ ـ أي في الطول واللمعان ـ قال: لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً.

ولا تنافى بين هذا وبين الرواية السابقة: أسيل الخدين، لأن المراد بها طول خفيف لا يمنع الاستدارة.

قوله: (كأن الأرض تطوى له)... إلخ، هذا بيان لسرعة مشيته، ولابن سعد عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فكنت إذا مشيت سبقني، فالتفت إلى رجل من جنبي فقلت: تطوى له الأرض، وخليل الله إبراهيم، وسرعة المشي تدل على شدة الحزم وقوة العزيمة، بخلاف المشي الضعيف فإنه يدل على التخاذل وخور العزيمة.

وقولهم: سرعة المشي تذهب بها بهاء المراء، ليس بحديث والله أعلم.

43. حديث: وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن عمر بن عبد الله مولى غفرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن ولد علي بن أبي طالب قال: كان علي عليه السلام، إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، وكان ربعة من القوم، لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعداً رجلاً ولم يكن بالمطهم، ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير، أبيض مشرب أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، أجرد ذو مسربة، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين، أجود الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفه أحبه، يقول ناعتُه: لم أر قبله ولا بعده مثله)، رواه الترمذي في السنن والشمائل وغيره. والله أعلم.

قوله: (غفرة) -بضم الغين المعجمة وسكون الفاء ـ ويقال غفيرة بالتصغير وهي بنت رباح وأخت بلال المؤذن، وأخيه خالد، قال البخاري: هم أخوان وأخت مولاها عمر بن عبد الله مدني يكنى: أبا حفص، روى له أبو داود والترمذي، وفيه ضعف، وشيخه إبراهيم بن محمد بن الحنفية ثقة من رجال الترمذي وابن ماجة، لكن روايته عن جده علي عليه السلام مرسلة فيما ذكر أبو زرعة الرازي، وهذا لا يضر هنا، لأن وصف علي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تلقاه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام، ولقنوة لأولادهم وأهل بيتهم فهو من أقوى الموصولات، كما لا يخفى على أن معناه وارد في عدة أحاديث.

قوله: (الممغط) - بضم الميم الأولى وفتح الميم الثانية المشددة وكسر الغين المخففة - اسم فاعل هو المتناهي الطول، فهو بمعنى البائن في الرواية الأخرى، وهو الذي فارق غيره في الطول وظهر عليه، وقيل المغط - بفتح الميم الثانية وتخفيفها وتشديد الغين المعجمة المفتوحة - اسم مفعول من التمغيط، وأصله من مغط الحبل إذا مده، والمقصود: أنه لم يكن بالطويل البائن الطول ولا بالقصير المتردد - بكسر الدال الأولي المشددة - أي: المتناهي في القصر، كأنه رد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه، قاله ابن الأثير، وكان ربعة من القوم تقدم شرحه.

وروى ابن أبي خيثمة والبيهقي عن عائشة قالت: (لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولربما اكتنفه الرجلان

الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نُسبا إلى الطول، ونسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الربعة)

قوله: (لم يكن بالجعد القطط) بفتح القاف وكسر الطاء الأولى، وقد تفتح ولا بالسبط بفتح أوله وكسر الموحدة، والجعودة في الشعر ألا يتكسر ولا يسترسل، والقطط شدة الجعودة، والسبوطة في الشعر ضد الجعودة، وهو الامتداد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء، والمراد: أن شعره صلى الله عليه وآله وسلم وسط بين الجعودة والسبوطة، ولهذا قال: كان جعداً رَجِلاً - بفتح الراء وكسر الجيم، وقد تسكن وتفتح -، يعني ليس شديد الجعودة ولا سبطاً فهو وسط بينهما، ولم يكن بالمطهم - بفتح الهاء المشددة - هو البادن الكثير اللحم المنتفخ الوجه من السمن، ولا بالمكلثم - بضم الميم الأولى وفتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنه - أي: المدور الوجه، ولذا قال: وكان في وجهه تدوير، فهذه الجملة بيان لقوله ولا بالمكلثم، والمعنى: أن وجهه الشريف كان وسطاً بين التدوير والإسالة، ويعبر عن ذلك بالسهولة، وهذا أحسن عند العرب وأحلى.

قوله: (أبيض) بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي: هو أبيض مشرب - بضم الميم وسكون الشين وفتح الراء المخففة أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة - روايتان معناهما واحد، أي: مخلوط بحمرة، كما جاء في حديث علي أيضاً عند سعيد بن منصور والطيالسي والحاكم، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبيض مشرباً بياضه بحمرة.

وفي حديث أنس عند البخاري: أزهر اللون ليس بأبيض أمهق، أي: شديد البياض، لأنه مذموم عند العرب، فمن أثبت البياض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد به المشوب بالحمرة، وهو اللون الأزهر الممدوح، وربما سموه أسمر

كما قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسمر، رواه أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حبان، ومن نفى البياض أراد البياض الشديد الذي يسمى مهقاً وصاحبه أمهق، وهو مذموم وبهذا تنفق الروايات.

قوله: (أدعج العينين) أي: شديد سواد الحدقة مع سعة العين، كما في الصحاح.

قوله: (أهدب الأشفار) جمع شفر - بضم الشين، وقد تفتح - وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر والأهداب - بالدال المهملة - من طال شعر أجفانه، والمعنى ظاهر، وروى ابن سعد والحرث ابن أبي أسامة عن ابن عباس وغيره: أن الصبيان كانوا يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو صبي ـ دهيناً كحيلاً.

قوله: (جليل) أي: عظيم المشاش - بضم الميم وتخفيف الشين المعجمة - رؤوس العظام كالمرفقين والركبتين، والكتد - بفتح الكاف والتاء وقد تكسر - مجتمع الكتفين، والمعنى: أنه عظيم رؤوس العظام، عظيم مجتمع الكتفين، وذلك يدل على القوة والشجاع.

قوله: (أجرد) أي: غير أشعر، أي: لم يكن على جسمه شعر كثير، فهو ذو مسربة - بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء - وهو شعر دقيق بين الصدر والسرة، وفي رواية البيهقي: له شعرات من سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه غيرها، وروى الطيالسي والطبراني عن أم هاني: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض.

شثن- بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة، وقد يقال شتن بالتاء المثناة- يعني: غليظ الكفين والقدمين، من غير قصر ولا خشونة، لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف.

قال المناوي: ولما فسر الأصمعي الشثن في الحديث بالغلظ مع الخشونة، أورد عليه: أنه ورد في صفته أنه لين الكف، فحلف ألا يفسر شيئاً في الحديث. اهـ وتفسير الحديث لا يكفي فيه معرفة اللغة، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه.

قوله: (إذا مشى تقلع) يعني مشى بقوة، ورفع برجليه رفعاً بائناً متداركاً إحداهما بالأخرى كأنه يمشي مشي القلعة بالتحريك، وهي القطعة العظيمة من السحاب.

قوله: (كأنما ينحط في صبب) بيان لقوله تقلع، والصبب - بفتح الصاد والباء الأولي - الحدو، ضد الصعود والمعني ظاهر.

قوله: (وإذا التفت التفت معاً) أي: جميعاً، أي: إذا التفت إلى إنسان لكلام أو غيره التفت إليه بكله، وأقبل عليه بكليته، ولا يلتفت إليه بلَي العنق كفعل المختالين المتكبرين.

قوله: (بين كتفيه خاتم النبوة) بكسر التاء، أشهر وأفصح من فتحها والمراد به أثر بين كتفيه، نعت به في الكتب السابقة، وكان علامة عندهم على أنه النبي الموعود، حتى لا يشتبهوا في أمره، واختلفت الروايات في وصف هذا الخاتم قدراً وشكلاً ولوناً، واستوعبها الحافظ قطب الدين الحلبي في شرح السيرة وتبعه العلامة مغلطاي في الزهر الباسم ونحن نشير إليها بحول الله، ففي

الصحيحين عن السائب بن يزيد قال: (قمت خلف ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زر الحجلة).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: (رأيت خاتم النبوة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده).

وفي رواية الترمذي: (غدة حمراء مثل بيضة الحمامة)، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: (نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل) النغض - بضم النون وسكون الغين المعجمة - فرع الكتف، والجمع - بضم الجيم وسكون الميم - الكف إذا جمع، والخيلان: الشامات السود، والثآليل: حبوب تعلو ظاهر الجسد.

ولأحمد والبيهقي عن أبي رمثة قال: (انطلقت مع أبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه) وفي رواية لأبي سعيد (مثل التفاحة) وللبخاري في التاريخ عن أبي سعيد قال: (الختم الذي بين كتفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحم ناتئة بين كتفيه)، وفي رواية الترمذي (كان في ظهره بضعة ناشزة) وفي رواية أحمد (لحم ناشز بين كتفيه) وفي حديث ابن عمر عند ابن حبان: (مثل البندقة من اللحم)، وفي حديث أبي زيد بن أخطب عند الطبراني: (محجمه ناتئة).

قال العلماء: اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة، بل كل واحد شبه بما عرض له، قال القرطبي في شرح مسلم: اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر بيض الحمامة، وإذا كبر جمع اليد، قال السهيلي: والصحيح أنه

كان عند نغض كتفه الأيسر، لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه دخوله. اهـ

وقد روى ابن عبد البر بسند قوي كما قال الحافظ عن ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز: أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأى الشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالبعوضة، وله شاهد مرفوع من حديث أنس (إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم) الحديث، رواه أبو يعلى وغيره، والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف، كما قال عياض: ولم يولد به من قبل. والله أعلم.

قوله: (وهو خاتم النبيين جملة) متممة لما قبلها، فهو خاتم نبوة الأنبياء لا نبي بعده، قال المناوي وابن سلطان وغيرهما من شراح الشمائل: لا ينافي هذا نزول عيسى عليه السلام، لأنه إنما ينزل متابعاً لشريعته مستمداً من القرآن والسنة. اهـ

قوله: (أجود الناس صدراً) أي: أرحبهم صدراً وأكرمهم قلباً فلا يمل من الناس، ولا يضجر منهم، على اختلاف طبائعهم أمزجتهم، بل يخاطب كلاً منهم على قدر منزلته، ويبذل لهم ما يسألونه من رفد وعطاء، ويعلمهم مما علمه الله مبتدئاً تارة ومجيباً أخرى، وتقدم شيء من جوده وسعة صدره في شرح الحديث الثلاثين.

قوله: (وأصدق الناس لهجة) عرف بهذا منذ طفولته، حتى كان يدعى بين قومه بالأمين، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أصدق الناس لساناً وأفصحهم بياناً.

قوله: (وألينهم عريكة) أي: أسهلهم طبيعة لوفور حلمه وكثرة تواضعه، وخفض جناحه للفقير والمسكين، وفرط شفقته على اليتيم والمحروم.

قوله: (وأكرمهم عِشْرة) بكسر العين وسكون الشين، اسم من المعاشرة وهي المصاحبة فمصاحبته صلى الله عليه وآله وسلم أكرم مصاحبه، لأنه أشد الناس وفاء، وأكثرهم عن الزلات إغضاء، يرعى حقوق المعاشرة، ويراعي روابط المودة يكون مع أصحابه كأحدهم، لا يتميز عنهم بشيء، ولا يشق عليهم في شيء، وفي رواية (وأكرمهم عشيرة) أي: قبيلة، وهي صحيحة أيضاً، فإن قبيلته أكرم القبائل، ونسبه أشرف الأنساب، كما تقدم في شرح الحديث الرابع والسابع.

قوله: (من رآه) رؤية بديهة فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة، هابه لما عليه من المهابة الإلهية، لأن قلبه الشريف ممتلئ بعظمة مولاه ومحبته وإجلاله وذلك يورث المهابة المذكورة، ومن خالطه وعاشره "معرفه"، أي: مخالطة معرفة، أحبه حباً شديداً حتى يقدمه على أهله ونفسه، ويبذل كل شيء في سبيل طاعته ورضاه، كما كان الصحابة يفعلون فإنهم كانوا يبذلون أنفسهم دونه وهذا واجب على كل مسلم بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾"الأحزاب 6" وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللّه وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾"التوبة 120"، ويعادون - بل يقاتلون - آباءهم وأبنائهم وعشيرتهم، دفاعاً عنه، وحفظاً لحرمته، فمدحهم الله على ذلك ووصفهم بالإيمان.

يقول: ناعته، أي: واصفه إذا أراد الإجمال في نعته، لأن التفصيل غير متيسر لم أر قبله ولا بعده مثله، لأنه جمع بين حسن الجمال، ووقار الجلال، وبلغ الغاية في خصال الكمال، **فهو كما قال البوصيري رحمه الله:**

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

قال الحافظ أبو نعيم: وقد اختلفت ألفاظ الصحابة في نعته وصفاته، وذلك لما ركب في الصدور من جلالته وحلاوته وعظيم مهابته وطلاوته، ولما جعل في جسده الشريف من النور الذي يتلألأ ويغلب على بشرته، فأعياهم ضبط صفته، ونعت حليته حتى قال بعضهم: كان مثل الشمس طالعة، وقال بعضهم: كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر، وقال بعضهم: لم أر قبله ولا بعده مثله، فلذلك السبب كان اختلافهم في وصف خلقته. اهـ.

وإلى هنا تم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى، وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع في صفاته وشمائله صلى الله عليه وآله وسلم فنقول:

أنبأنا سعيد بن أحمد الغراء الدمشقي، أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الحسيني، أنا أبي أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبري، أنا أبي أنا أبو المواهب الحنبلي أنا أبي أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصاري، أنا محمد بن خليل اليشبكي، أنا أبو الفضل الحافظ، أنا أبو اسحق التنوخي: أنا محمد بن جابر بن محمد الواد آشيء، أخبرنا أبو المواهب ربيع بن أبي عامر يحيي بن عبد الرحمن بن ربيع أنا الحسن بن علي الغافقي(ح) وقال التنوخي: أنا يحيي بن محمد بن سعد كتابة، أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حكم (ح) وأنبانا محمد بن إبراهيم السقا أنا أبي أنا ثعيلب أنا الشهاب الملوي، أنا عبد الله بن سالم البصرى، أنا محمد البابلي، أنا سالم بن محمد، أنا النجم الغيطي أنا القاضي زكريا الأنصاري،

أنا الشمس محمد بن علي القاياتي، أنا السراج عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن محمد الدلاصي، أنا التقي أبو الحسن يحي بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتى، أنا أبو الحسن يحي بن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الصائغ، قال هو والغافقي وأبو جعفر بن حكم: أخبرنا عياض بن موسى الحافظ قال: حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه، حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة الحافظ، قال: حدثنا سفيان بن وكيع، ثنا جميع ـ بالتصغير ـ بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه، قال: حدثني رجل من بن تميم، من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت خالي هنداً بن أبي هالة (ح) قال القاضي أبو علي: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني، وأجازنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحي بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال

حدثنا إسماعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسي بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين، قال: الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند -: سألت خالي هنداً بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان وصافاً وأنا أرجوا أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، وإن انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا، يجاوز شعره شحمه أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقني العرنين له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر، مشبح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عري الثديين ما سوي ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين، وأعالي الصدر طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال: سائن الأطراف، وسائر الأطراف، سبط العصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال، زال تقلعاً، ويخطو تكافؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشي كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، يبدأ من لقيه بالسلام، قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكرة،

ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي، ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها، إذا أشار، أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمني راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام).

قال الحسن: فكتمتها عن الحسن بن علي زماناً، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومخرجه ومجلسه وسكوته؟ فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك، فكان إذا أوي إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزء جزئه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم الذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون رواداً، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة يعني فقهاء، قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده، أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة، أحسنهم مواساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إبطانها وإذا انتهى إلى قوم، جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه، حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة، صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى، وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثي فلتاته - هذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويرفدون ذا الحاجة،

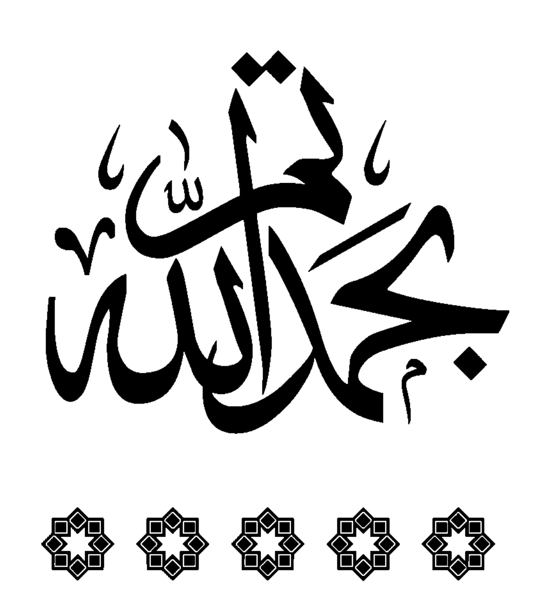
ويرحمون الغريب، فسألته عن سيرته صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه؟ فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يؤيس منه، وقد ترك نفسه من ثلاث: (الرياء والإكثار وما لا يعنيه) وترك الناس من ثلاث: (كان لا يذم أحد ولا يعيره ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه)، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه، فيقطعه بانتهاء أو قيام هنا انتهي حديث سفيان بن وكيع.

وزاد الآخر: قلت: كيف كان سكوته صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: كان سكوته على أربع على (الحلم والحذر والتقدير والتفكر)، فأما تقديره (ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس) وأما تفكيره (ففيما يبقي ولا يفنى وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه) وجمع له في الحذر أربع: (أخذه بالحسن ليقتدي به، وتركه القبيح لينتهي عنه، واجتهاد الرأي بما يصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة)

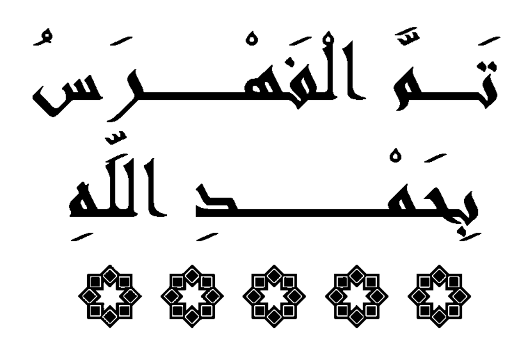
وهكذا رويناه في الشفاء من طريق الترمذي في الشمائل، والحافظ أبي علي ابن شاذان المتوفى ببغداد سنة 426هـ

أخرجه أيضاً ابن سعد في الطبقات والطبراني في الكبير وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل، ومعانيه واردة في جملة أحاديث في الصحاح والسنن وغيرها وشرحه مستوفي في شروح الشمائل وشروح الشفا وغيرها.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامة على سيدنا محمد سيد المرسلين، خاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين وخيار صحابته من الأنصار والمهاجرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.


تم بحمد الله

فَهْـــرَسُ الْمَـــوْضُـــوعَـــاتِ


تَمَّ الْفَهْرَسُ
بِحَمْدِ اللّٰهِ

إصدار





المركز الوطني للبحوث والدراسات

التابع لآل البيت ـ فلسطين

بالاشتراك

مع مركز آل الصديق لإحياء العلوم - فرنسا

الموقع الالكتروني: www.alalbait.ps